جامعة العربي بن امهيدي- أم البواقي

محاضرات في مقياس:

موجهة إلى طلاب:

السنة الأولى ليسانس

(اللغة والأدب العربي)

إعداد

د. : الشريف مرزوق

السنة الجامعية :

1444/1443هـ

2022/2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن امهيدي – أم البواقي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس:

علوم القرآن

موجهة إلى طلاب:

السنة الأولى ليسانس

(اللغة والأدب العربي)

إعداد
د. : الشريف مرزوق

السنة الجامعية :
1444/1443هـ
2022/2021م

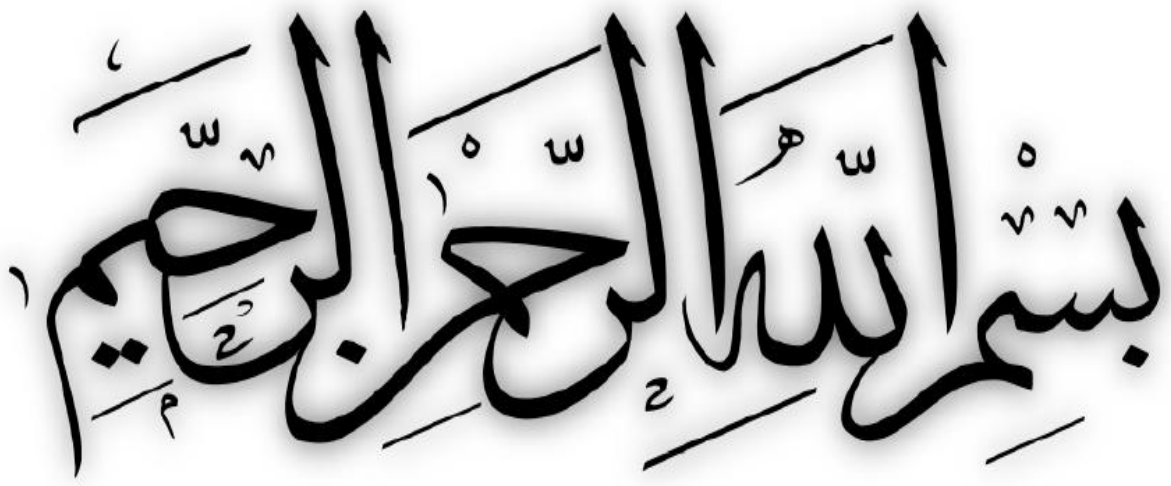
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحات
01	مقدمة.....	أ-ب-ت
02	المحاضرة1: تعريفات.....	1-31
03	المحاضرة 2: تاريخ القرآن.....	32- 43
04	المحاضرة 3: جمع القرآن الكريم	44- 54
05	المحاضرة 4: مكونات النص القرآني.....	55- 64
06	المحاضرة 5: القصة القرآنية.....	65- 71
07	المحاضرة 6: سياقات النص القرآني.....	72- 78
08	المحاضرة 7: السياق التراتبي.....	79- 91
09	المحاضرة 8: السياق التداولي:القراءات القرآنية.....	92- 98
10	المحاضرة 9: مناهج التفسير ونقدها.....	99- 103
11	المحاضرة 10: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.....	104- 107
12	المحاضرة 11: التفسير اللغوي.....	108- 111
13	المحاضرة 12: التفسير البياني والأدبي.....	112- 115
14	المحاضرة 13: الاعجاز اللغوي والبياني.....	116- 124
15	المحاضرة 14: الاعجاز الاخباري والتشريعي.....	125- 130
16	خاتمة.	131
17	قائمة المصادر والمراجع.....	132- 137

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله.

أما بعد، فهذه مجموعة محاضرات في مقياس: علوم القرآن الكريم " ألقيتها على طلاب السنة الأولى ليسانس نظام (ل. م. د) قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن امهيدي بأم البواقي، خلال عدة سنوات جامعية.

حاولت فيها دراسة تاريخ القرآن الكريم، والتعريف به، وبإعجازه، وقراءاته، وعلومه، وبأهم مناهج التفسير، مع التعريف ببعض الكتب المهمة التي تمثل هذه المناهج - وذلك تبعا للبرنامج المقدم- يسّر تعالى جمعها وتأليف بعضها إلى بعض حتى خرج هذا المخرج، فأسأل الله التوفيق والسداد والإعانة والرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد حاولت فيها المحافظة على روح البرنامج المقرّر من الجهات الوصيّة، وذلك بعرض أهمّ مفردات المقياس الّتي توزّعت على أربعة عشر محاضرة؛ وفقا للمحاور الآتية:

1. **تعريفات.**
2. **تاريخ القرآن.**
3. **مكوّنات النّص القرآني.**
4. **سياقات النّص القرآني.**
5. **مناهج التّفسير ونقدها.**
6. **الإعجاز القرآني.**

وقد جاء تفصيلها على الوجه الآتي:

01	**تعريفات:**	**أهمّية القرآن وعلومه في الدّراسات اللغوية والأدبية،تعريف القرآن، الكتاب، الوحي، المعجزة، النّبي، الوحي.**
02	**تاريخ القرآن:**	**1- نزول القرآن، بداية الوحي، التّنجيم.**
03		**2- مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب السّور والآيات.**
04	**مكوّنات النّص القرآني:**	**1- اللّفظة، العبارة، الآية، السّورة.**
05		**2- القصّة القرآنية: خصائصها، أهدافها.**
06	**سياقات النّص القرآني:**	**1- السّياق السّببي: أسباب النّزول.** **2- السّياق المكاني: المكّي والمدني.**

07	سياقات النّص القرآني:	3- السّياق التّراتبي :أوّل وآخر ما نزل، النّاسخ والمنسوخ.
08		4- السّياق التّداولي :القراءات القرآنية :مفهومها، أنواعها، الحكمة منها.
09	مناهج التّفسير ونقدها:	1- معنى التّفسير والتّأويل والشّرح، شروط المفسّر، تاريخ التّفسير(في عهد الصّحابة، والتّابعين، وعصر التّدوين.)
10		2- التّفسير بالمأثور :خصائصه، أعلامه، التّفسير بالرّأي: أعلامه، نقده.
11		3- التّفسير اللغوي :خصائصه، أعلامه، نقده.
12		4- التّفسير البياني والأدبي :خصائصه، أعلامه، نقده.
13	الإعجاز القرآني:	1- الإعجاز اللغوي والبياني.
14		2- الإعجاز الإخباري والتّشريعي.

اسم المقياس: علوم القرآن .

الفئة المستهدفة: السنة الأولى ليسانس (نظام ل. م. د).

وحدة التعليم: الاستكشافية.

السداسي :الأول .

الرصيد:01

المعامل:01

❖ أهداف مادة علوم القرآن :

- إبراز العلاقة بين القرآن الكريم والدراسات اللغوية والأدبية.

- الإلمام ببعض أنواع علوم القرآن الكريم التي تمكن الطالب من الفهم السليم للقرآن الكريم.

- تزويد الطالب بالخلفيات التاريخية التي تمكنه من الوقوف على جهود علماء الأمة في حفظ كتاب الله من التغيير والتبديل بما يزيد من يقينه وإيمانه وحبه لكتاب ربه.

- تشجيع الطالب على تعلم القرآن الكريم ونشر علومه والدفاع عنه.

❖ بعض المصادر والمراجع المختارة:

يمكن أن ندرج بعض المصادر والمراجع التي يحتاجها الطالب في الزيادة والمطالعة حتى يتسني له أن يلم بالموضوع إلماما كبيرا، ومن تلك المصادر ما يلي:

1. ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان.

2. الرمان والخطابي وعبد القاهر الجرجاني،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

3. الزركشي، البرهان في علوم القرآن.

4. خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير.

5. د. شوقي ضيف،كتاب سلسلة تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي.

6. عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

7. عبد الرحمن بن الجوزي، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.

8. د. عبد المحمود مطلوب ، مباحث في علوم القرآن والحديث.

9. محمد صفا الشيخ إبراهيم حقي ، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير.

10. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان.

11. محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن.

12، مساعد بن سليمان الطيار، أنواع التصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم.

كما يمكن الاستفادة من بعض المواقع الإلكترونية التي لها اهتمام بموضوع القرآن الكريم وبعلومه المختلفة.

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا،وأن ينفعنا بما علمنا،وأن يزدنا علما.آمين.

المحاضرة 01: تعريفات

أولا: التعريف بالقرآن الكريم:

أ- التعريف اللغوي للقرآن:

يعرف العلماء القرآن على خمسة أقوال[1] :

❖ **القول الأول** : كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرأ بمعنى : تلا، فكلمة القرآن مصدر الفعل قرأ، وهو يرادف المصدر قراءة، بمعنى: تلاوة.

فالقرآن والقراءة مصدران بمعنى واحد وهو التلاوة.

وسمي المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. والقرآن هنا على وزن فعلان: كالبرهان، من برهن برهانا. وكالغفران من غفر غفرانا.

دليل هذا القول : قوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة: 16-18).

بمعنى إنا علينا جمعه أي حفظه، وقرآنه أي تلاوته، فإذا قرأناه أي تلوناه فاتبع قرآنه كما تلوناه.

من القائلين بهذا القول(اللحياني) هو أبو الحسن علي بن حازم اللغوي المتوفي سنة 215هـ - رحمه الله -

❖ **القول الثاني:** كلمة القرآن مشتقة أيضا من الفعل قرأ بمعنى : جمع، وهو يرادف المصدر قرءا بمعنى: جمعا.

فالقرآن، والقرء مصدران للفعل قرأ بمعنى واحد هو الجمع، أي جمع الحروف والكلمات إلى بعضها في الترتيب. والقرآن هنا مصدر على وزن فعلان، ولكن بمعنى الجمع، وليس التلاوة، ومنه القول : قرأ الماء في الحوض أي جمعه في الحوض.

دليل هذا القول إن معنى القرآن هنا الجمع، على اعتبار أنه يجمع علوم الكتب السماوية، وسائر العلوم كلها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: 89).

من القائلين بهذا القول : (الزجاج)، وهو (أبو اسحاق إبراهيم بن السري)، (ت 311 هـ) - رحمه الله -

فالقرآن بالنسبة للقولين السابقين مصدر مهموز، لأنه مشتق من الفعل قرأ فيقرأ بالهمز.

❖ **القول الثالث** : كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرن بمعنى ضمّ، وهو يرادف المصدر قرنا، بمعنى ضما.

فالقرآن، والقرن مصدران بمعنى واحد وهو الضم، أي ضم الشيء إلى الشيء.

ودليل هذا القول، قال العلماء : على اعتبار أن السور، والآيات تقرن إلى بعضها البعض، أي تضم إلى بعضها البعض.

ومن القائلين بهذا القول (أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري)، (ت 324هـ)- رحمه الله -

---

1- غازي عناية، **هدى الفرقان في علوم القرآن**، ج1، دار الشهاب، باتنة، الجزائر،1988، ص20.

❖ **القول الرابع** : كلمة القرآن مشتقة أيضا من الفعل قرن، ولكن بمعنى دلّ على، أو أشار إلى. وهو يرادف المصدر قرينة، وجمعها قرائن. قال العلماء : كلمة القرآن مشتقة من القرائن.

ودليل العلماء في ذلك: على اعتبار أنّ آيات القرآن قرائن على بعضها البعض، أي دالة على بعضها البعض، ومشيرة إلى بعضها البعض شبها، وتناسقا. ومن القائلين بهذا القول : (الفراء أبو زكريا يحي زياد الديلمي النحوي الكوفي) ، (ت 207هـ)- رحمه الله -

❖ **القول الخامس** : كلمة القرآن جامدة وغير مشتقة، وليس لها أصل اشتقاقي. وقع القول على أن كلمة القرآن وقع الارتجال فيها بإطلاقها على كلام الله النازل مثل كلمة التوراة، وكلمة الإنجيل وكلمة الزبور.

فالقرآن كلمة نزل بها القرآن هكذا، وفهمها العرب دون أن يجدوا لها أصلا اشتقاقيا.

ومن القائلين بهذا القول(الإمام الشافعي) (ت 204 هـ)- رحمه الله - ودليل هذا القول قال العلماء : لو كان القرآن مشتقا من الفعل قرأ لأمكن إطلاقه على كل ما هو مقروء، ولو كان تأليفا بشريا، وذلك لا يجوز.

- آراء بعض العلماء في لفظة (قرآن)[1]: اختلف العلماء في لفظة القرآن، وهل هي مهموزة أم غير مهموزة، علما أن هذا الاسم هو الاسم الأشهر للقرآن وقد ورد في ثلاثة وسبعين موضعا في كتاب الله...

فقد ذهب اللحياني- رحمه الله - إلى أن القرآن مصدر ، وعليه فهو مهموز، وقد جعل إسما للكلام المنزل من باب تسمية المفعول بالمصدر، واستشهد بقوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: 17 - 18) حيث ورد اللفظ مصدرا.

كما ذهب (الزجاج)- رحمه الله - أيضا هذا المذهب وقال بأنه القرآن مهموز، لكنه أشار إلى أن معناه هو الجمع لأنه مشتق من (القرء) ومنه قولهم: قرأ الماء: أي جمعه، والقرآن جمع ثمرات الكتب السابقة عليه.

أما (الأشعري) -رحمه الله - فهو ممن قالوا بأن لفظ القرآن غير مهموز، لأنه مشتق من قرن لقران السور والآيات والحروف. وأيده (الفراء) - رحمه الله - في ذلك، ورأى بأن لفظة قرآن مشتقة من (قرائن) أي أشباه ونظائر، لأن آيات القرآن يصدّق بعضها بعضا، ويشابه بعضها بعضا.

أما الإمام (الشافعي)- رحمه الله - فيقول بأن لفظ القرآن ليس مهموزا ولا مشتقا، بل هو اسم علم للوحي الخاتم، فلم يؤخذ من القراءة، ولو أخذ من القراءة، لكان كل ما قرئ قرآنا، لكنه اسم علم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل.

1- جملات عيد محمدو أبو ناصر، **لفظة القرآن في القرآن الكريم، دراسة موضوعية**،رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، 2011، ص ص 4-5.

وسمه بالمصحف: أطلق اسم المصحف على القرآن الكريم زمن (بكر الصديق)-رضي الله عنه- ؛ فقد ذكروا أنه لما جمع القرآن. قال سمّوه: "السِّفر" : أي الكتاب، وهي كلمة مستعملة أيضا في التوراة. فكرهوا التسمية لهذا السبب كذلك. فقال (الله بن مسعود) – رضي الله عنه-وكان من كتبة القرآن – "رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف، فسمّوه به..." ذكر هذه الرواية (الزركشي)في البرهان.

ب – التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم:

- القرآن اصطلاحا: للقرآن الكريم عدة تعريفات اصطلاحية، تعتبر موضع قبول بين علماء القرآن، إلا أن هناك تعريفا بين هذه التعريفات أكثر إحاطة ودقة وهو الذي اختاره علماء الأصول، حتى صار موضع إجماع؛ هذا التعريف يقول: " **القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس**"[1].

تحليل التعريف الإصطلاحي :

يمكننا تحليل تعريف القرآن إلى عناصره التالية:

❖ **العنصر الأول** : القرآن كلام الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ (التوبة: 6).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6)

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾. (الزمر: 23)

وبهذا العنصر يستثنى كلام غير الله، وهي المخلوقات، فلا يسمى قرآنا : كالملائكة، والجن، والإنس، فلا يسمى كلامهم قرآنا،وإن، ومهما سما في بيانه، وفصاحته، ومعناه، فكلام الأنبياء لا يسمى قرآنا، ومن ثم فالحديث النبوي لا يسمى قرآنا. فكلام الله يستثنى كلام الإنس والملائكة والرسل والحديث النبوي.

❖ **العنصر الثاني** : القرآن كلام عربي :

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: 2)

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 3)

وقال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: 3)

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص22.

ويستثنى بهذا العنصر كل ترجمة للقرآن؛ فترجمة القرآن إلى لغات أخرى لا تسمى قرآنا، ومن ثم لا يجوز التعبد بها، ولا تجوز قراءتها في الصلاة، وإنما هي ترجمة تفسير، أو ترجمة لمعاني القرآن؛ حيث لا توجد لغة أخرى تضاهي اللغة العربية في غناها اللغوي، والإشتقاقي، والتعبير عن المعاني. ومما تنفرد به اللغة العربية على سبيل المثال : هو كون تقديم المفعول به على الفعل يفيد الإختصاص المطلق كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 3).

❖ **العنصر الثالث** : القرآن موحى به: وذلك بواسطة الوحي جبريل – عليه السلام – الذي اختصه الله من دون الملائكة بإنزال الكتب السماوية كلها،ومنها القرآن على الأنبياء والرسل.

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: 4)

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (الكهف: 27)

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: 193)

ويستثنى بهذا العنصر كل ما أوحي به إلى الرسول ﷺ بغير الوحي جبريل : كالإلهام، والرؤيا في المنام؛ فالقرآن جميعه أوحي به إلى الرسول ﷺ بواسطة الوحي جبريل، وفي حالة اليقظة، وفي هيئة صلصة الجرس.

بوساطة الأمين جبريل : لأنه جبريل عليه السلام أمين الوحي، فهو الواسطة في تبليغ الوحي الإلهي.

❖ **العنصر الرابع** : المكتوب في المصاحف : فلا يسمى قرآنا إلا كلام الله الموجود بين دفتي المصحف، أما التفاسير فهي كتب تفسير أو تأويل وليست قرآنا.

❖ **العنصر الخامس** : القرآن منزل على الرسول ﷺ [1].

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ (الكهف: 1)

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 1)

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: 2)

ويستثنى بهذا العنصر :

أ- كلام الله الذي نزل على الأنبياء، والرسل الآخرين : كالتوراة، الزبور ، والإنجيل، وغيرها.

ب- كلام الله الذي لم ينزل على النبي ﷺ ، واحتفظ الله به، وهو كثير، وحفظت الملائكة منه. فالقرآن ليس كل كلام الله. قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: 109)

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص ص 24-25.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **(لقمان: 27) المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين: يستثنى كلام الله غير المنزل على رسول الله ﷺ كالتوراة والإنجيل الأصليين طبعا.**

❖ **العنصر السادس : القرآن قطعي الثبوت منقول بالتواتر:**

المنقول إلينا بالتواتر : التواتر هو نقل جماعة عدول عن جماعة عدول مثلهم يستحيل تواطؤهم على كذب، وهو أصح طرق إثبات الخبر أو العلم. فأكثر الحقائق العلمية والجغرافية هي مسلمات راسخة لدينا، رغم أننا لسنا شهودا على حقيقتها، فاليقين فيها بالنسبة إلينا إنما سببه التواتر.

ويستثنى بهذا العنصر: الحديث القدسي لأنه، ولو أنه كلام الله ليس كله متواترا؛ فكثير من الأحاديث القدسية أحادية، وغير متواترة، وبالتالي فليست كلها قطعية الثبوت، فمنها ما هو متواتر، وهو أقلها، ومنها ما هو خبر أحاد ،ومنها ما هو موضوع.

❖ **العنص السابع : المعجز: الإعجاز هو التحدي والإيمان. فالمعجز : المتحدي به، فيخرج من ذلك الحديث القدسي والسنة النبوية، لأن الإعجاز بهذا المعنى مقتصر على القرآن.**

❖ **العنصر الثامن : المحفوظ في الصدور : إذ ليس هناك كلام له تأثيره النفسي والروحي مثل القرآن، لذلك فهو يتميز تماما عن كل كلام آخر في الصدر[1].**

❖ **العنصر التاسع : المتعبد بتلاوته : لأن قراءة القرآن بحد ذاتها عبادةينال بها الثواب.**

❖ **العنصر العاشر : المبدوء بسورة الفاتحة: لأن فاتحة الكتاب هي غرته ومطلعه فهي أم الكتاب .**

❖ **العنصر الحادي عشر : المختتم بسورة الناس : فسورة الناس هي خاتمة المطاف (114) ... لذلك هي معلم من معالم هذا التعريف.**

ثانيا: فضل القرآن ومنزلته

يعد القرآن الكريم المصدر الأول للإسلام في: العقائد، والمفاهيم، والقيم، والموازين، والشعائر، والشرائع، والأخلاق والآداب. كل هذا قد وضع له القرآن الكريم أسسا، وجاءت السنة النبوية الصحيحة فبينت وفصلت. كما يعد القرآن الكريم مصدر المعرفة، والتربية، والتوجيه، والتكوين الوحيد للجيل القرآني الفريد الذي تلقاه للتنفيذ، وليس للترنم والترتيل فقط.

قال عز وجل: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ **(الأعراف: 203).**

وقال أيضا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ **(الشورى: 52). والروح من طبيعتها أن تحرك وتحي.**

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص ص26-27.

لذا فهو أول ما يجب أن يرتبط به إرتباطا وثيقا وقويا وصحيحا، لأنه أول مصدر للتزود بالإيمان و القوة والتقوى في هذه الحياة.

وقد كان القرآن الكريم عاملا أساسيا في إسلام الكثير من الصحابة رضي الله عنهم، فقد سحرهم بفصاحته التي ليست لها نظير، ومن ذلك ما حدث لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع سورة طه، وعتبة بن ربيعة لما فزع عند سماعه لسورة فصلت، وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يتعبد فيها النبي الأمين ﷺ ليلا ليسمعوا هذه البلاغة خفية، وما عجزهم بعد التحدي، إلا دليل الإعجاز وعظمة البيان وجلال الأسلوب[1].

كما يعد القرآن الكريم المعجزة العظمى والحجة البالغة، وقد تحدى الله عز وجل به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بجزء منه فعجزوا قال عز وجل: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء : 88)، وبذلك ثبت إعجاز القرآني على أبلغ وجه، وإذا ثبت عجز العرب فرسان البلاغة، وأمراء البيان، فغيرهم بالعجز أولى وأحرى.

وقد دفع القرآن الكريم العرب وغيرهم من العجم ليتسابقوا في تعلم العربية، وتعليمها، وإجادتها، ومحاكاة بيانها، والعناية بها وخدمتها في شتى المجالات، بل شارك علماء العربية في علوم القرآن المختلفة، وعلوم الشريعة، من فقه وأصوله، وحديث وشرحه، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، والرسم القرآني، وأسباب النزول إلخ...

والقرآن الكريم هو الذي أخرج فصحاء العرب، وأصحاب المقامات، والرسائل وغيرها، أمثال ابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب، والهمذاني....[2]

وقد أكسب القرآن الكريم العلماء والأدباء الكتابة والفصاحة، فإننا نجد أكثر الناس تعبيرا عن المعاني بأفصح ألفاظ من امتلك نصيبا وافرا من حفظ القرآن. وما أجمل قول القائل:

هذا هو القرآن نبراس الهـــــدى	دستورك الأسمى المنير المشـرق
آياته نبع العلـــــوم جميعهـــــا	من قال لا فهو الغبي الأخـــرق
علم الطبيعة والحياة وحكمة الـ	إيجاد من تبيانه تتدفـــــــق
وسياسة الدنيا بأقوم شرعـــــة	بين الورى بسواه لا تتحقـــق
فيه القضاء لحل كل قضيـــــة	عن حلها أهل السياسة أخفقوا

1- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1976، ص 71.

2- : محمود عبد الوهاب فايد، **التربية في كتاب الله**، دار الاعتصام، القاهرة، 1978، ص ص 53-54.

لذلك عنيت الأمة الإسلامية عناية فائقة بالقرآن الكريم من عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه، وفهموا معناه، وبحثوا في أسراره، وفي جل نواحيه، وألفوا في ذلك المؤلفات القيمة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في رسمه وقراءته، وفي استنباط أحكامه، وفي أسباب نزوله، وفي إعجازه، وفي أمثاله، وفي غريبه، وفي إعرابه، وفي قصصه.... وحوله وعنه كتبت وتكتب مقالات كثيرة في الكثير من المجلات والجرائد، وعقدت وتعقد مؤتمرات وملتقيات وندوات ، وألقيت وتلقى محاضرات ودروس، وأقيمت وتقام مسابقات وحفلات، وأنشئت وتنشأ مواقع إلكترونية، ووضعت وتوضع برامج تعليمية في مختلف المؤسسات التكوينية والتربوية بمختلف مستوياتها وتخصصاتها...

❖ **قالوا عن القرآن:**

- روي عن الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن من النبي ﷺ تأثر تأثرا بالغا فجاء، إلى قومه (بني مخزوم) وقال لهم: (والله لقد سمعت من محمد آنفا (أي سابقا) كلاما ما هو بكلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة (الحسن والبهجة)، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق (كثير الماء). وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر). فقالت قريش (صبأ والله الوليد)[1].
- قال العلامة (الزرقاني) في (مناهل الغرفان)[2]:

"وها قد مرت على اللغة العربية، من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة، بين علو ونزول، واتساع وانقباض،وحركة وجمود وحضارة وبداوة، والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه، يطل على الجميع من سمائه، وهو يشيع نورا وهداية، ويفيض عذوبة وجلالة ،ويسيل رقة وجزالة ، ويرف جدة وطلاوة، ولا يزال كما كان غظا وطريا، يحمل راية الإعجاز ، ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة قائلا في صراحة الحق وقوته وسلطان الإعجاز وصولته ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ **(الاسراء: 88)**

- قال الإمام (الراغب الأصفهاني) في مقدمة كتاب الفذ (مفردات القرآن) حول دقة ألفاظ القرآن: " فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها.كالقشور والنوى .بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى حبوب الحنطة".
- ومن المعاصرين قال الدكتور (عبد الفتاح لاشين) في كتابه(صفاء الكلمة في التعبير القرآني): "لقد كان القرآن دقيقا في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته، فإذا صار اللفظ معرفة كان ذلك بسبب، وإذا انتقاه نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كان اللفظ مفردا كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان

1- الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ص649.
2- الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج2، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995،ص229 .

مجموعا كان لحال يناسبه. وقد يختار كلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة،وقد يفضل كلمة على أخرى، والكلمتان بمعنى واحد ،وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي والجمال البديعي، على قدره وحسنه لغرض أسمى وهو الحسن المعنوي، وكل ذلك لغرض يرمى إليه، وهكذا دائما، لكل مقام مقال في التعبير القرآني."

- وقال الدكتور (أحمد بدوي): " القرآن يتأنق في اختيار الألفاظ ،ويستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة، دون سواها، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفا بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديدا، فالألفاظ فيه قوية عنيفة في مقام التهديد والوعيد، رقيقة عذبة في مجال الترغيب والتهذيب، هادئة حسنة في مقام التشريع والتوجيه".
- وقال العلامة الدكتور (محمد سعيد رمضان البوطي) في كتابه (من روائع القرآن)[1].

"إقرأ ماشئت من سور القرآن وآياته، تجد أن كلا من جانبي اللفظ والمعنى فيه متوافقان أتم ما يكون الوفاق والتطابق، لا تشعر أن حرفا واحدا يفيض في جانب اللفظ عن المعنى ولا تشعر أن أي جانب في المعنى – مهما دق ونطق – قد تقاصر اللفظ أو التعبير عن الدلالة عليه.

فهذا هو مصدر الإعجاز البلاغي في كتاب الله تعالى." وقال أيضا في ص 111. " وأول من يطالعك من مظاهر أسلوب القرآن لدى النظرفيه،أنه يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم، وله أسلوب خاص به لا تجد منه عند أي فن من الفنون العربية المعهودة".

❖ **موقف بعض أعلام الفكر العربي من إعجاز القرآن:**

إن كتاب الغرب ومفكريه، بمن فيهم من المتعصبين يعترفون بسمو مكانة القرآن ونصوصهم في ذلك كثيرة، تكشف عن دهشتهم العميقة من قوة تأثيره، وعظم فعاليته.

❖ قال (الجاستون كارمن) وهو من مستشرقي فرنسا المشاهير في سلسلة مقالات نشرها في جريدة (LE FIGARO) عام 1913، "إن القرآن هو منبع هذا الدين الفعلي ودستوره قد احتوى على أسس تستقي إليها حضارة العالم، ففي إمكاننا أن نقول إن هذه الحضارة نشأت من امتزاج الأسس التي نشرها الاسلام ودعا إليها القرآن".

❖ وكتب (مانويل كنج) وهو من أفاضل علماء الانجليز ومشاهير مفكريها في صحيفة (نيرإيست) (عدد 13 أكتوبر 1922) :

"إن القرآن كتاب معجز وخليق بالإعجاز من حيث التنزيل والترتيل مع أن لسان القرآن مخالف للساننا، وآراؤه تخالف آراءنا، ولا يمكن إنكار قدره وقيمته وفضله وجماله من جهات كثيرة ،وإلاّ كان ذلك الإنكار حرمانا من العقل والمنطق".

1- محمد سعيد رمضان البوطي، **من روائع القرآن**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2003، ص 139.

❖ ويقول الفيلسوف الفرنسي المعروف (آلكسي دوازون) في كتابه (حياة محمد) " خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق، وكتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا (أو المكتشفات الحديثة) مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن، والقوانين الطبيعية، مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية".

ثالثا: أسماؤه وصفاته

أ- أسماء القرآن :

من خصائص القرآن الكريم أن له عدة أسماء، وهذا يدل على شرفه وعلو منزلته، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعلو قدره، وقد بلغت أسماء القرآن عند كثير من العلماء أكثر من تسعين إسما، لكن الغالب إطلاق أسماء القرآن والكتاب في تسمية هذا الكتاب الكريم[1]

قال القاضي (أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة) في كتاب البرهان: "أعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما"[2].

وهذه هي أشهر أسمائه[3]:

1- سماه الله تعالى قرآنا فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة: 77) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (58 مرة).

وقال (أبو الحسن الأشعري): " سمي قرآنا؛ لأنه مشتق من الفعل قرن بمعنى ضم، فهو يضم سوره، وآياته، وكلماته، وحروفه، بعضها إلى بعض".

2- سماه الله تعالى كتابا فقال : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة: 2) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (230 مرة).

قال (السيوطي): " سمي كتابا؛ لأنه جمع أنواع العلم، والقصص، والأخبار على أبلغ وجه. والكتاب لغة الجمع، والقرآن، والكتاب هما أشهر أسماء القرآن.

3- سماه الله تعالى كلاما فقال : ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: 6) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (4 مرات). وسمي كلاما؛ لأنه يؤثر في ذهن السامع، فهو مشتق من الكلم بمعنى التأثير.

1- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ، ص 273.

2- المرجع السابق، ص 101.

3- غازي عناية، مرجع سابق، ص ص 31-33.

4- **سماه الله تعالى ذكرا فقال :** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ **(الحجر: 9) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن**(63 مرة). **والذكر معناه الشرف، وسمي ذكرا لما فيه من المواعظ، وأخبار الأمم السابقة.**

5- **سماه الله تعالى تنزيلا فقال :** ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **(الشعراء: 192) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن**(15 مرة). **وسمي تنزيلا؛ لأنه نزل من عند الله تعالى.**

6- **سماه الله تعالى فرقانا فقال :** ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ **(الفرقان: 1) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن**(6 مرات). **أخرج**(ابن أبي حاتم) **عن (مجاهد) قال: " سمي فرقانا؛ لأنه فرق بين الحق والباطل.**

7 - **سماه الله تعالى وحيا:** ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾.**(الأنبياء: 45) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن**(6 مرات). **وسمي وحيا؛ لأنه أوحي به من الله تعالى، وعن طريق الوحي جبريل عليه السلام.**

8- **سماه الله تعالى قصصا:** ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ **(آل عمران: 62) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن**(4 مرات). **وسمي القرآن قصصا، لأنه جمع ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء.**

9- **سماه الله تعالى روحا:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ **(الشورى: 52) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن**(21 مرة). **وسمي روحا؛ لأنه تحيا به القلوب، والأنفس.**

10- **سماه الله تعالى مثاني:** ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً مَّثَانِيَ﴾ **(الزمر: 23) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن مرتين. وسمي القرآن مثاني؛ لأنه فيه بيان قصص الأمم الماضية، وقيل لتكرار القصص، والمواعظ فيه، وقيل: لأنه نزل مرة بالمعنى، ومرة باللفظ والمعنى**[1].

ب- أوصاف القرآن:

وقد وصف الله عز وجل القرآن بأوصاف كثيرة منها:

1- **وصفه بأنه صراط مستقيم فقال :** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ **(الأنعام: 153) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن**(43 مرة). **وسمي صراطا مستقيما؛ لأنه طريق إلى الجنة لا عوج فيه**[1].

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص ص 34-35.

2- **وصفه بأنه بصائر فقال :** ﴿هَـٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ **(الجاثية: 20) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن(** 5 **مرات). وسمي بصائرا؛ لأن به تبصر القلوب، والأنفس، وتهتدي بنوره.**

3- **وصفه بأنه حق فقال :** ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ **(آل عمران: 62) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن** (247 **مرة). وسمي حقا؛ لأنه حقيق، وشاهد بالصحة، واليقين على ما جاء فيه.**

4- **وصفه بأنه صدق فقال :** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ **(الأنعام: 115)) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن(** 14 **مرة). وسمي صدقا؛ لأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.**

5- **وصفه بأنه مبارك فقال :** ﴿ وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: 92)) **وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (8 مرات)، ومباركة (4 مرات). وسمي مباركا؛ لأنه مبارك من الله تعالى بارك به عباده المؤمنين.**

6- **وصفه بأنه بلاغ فقال :** ﴿هَـٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ **(إبراهيم: 52)) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن(** 15 **مرة). وسمي بلاغا؛ لأنه أبلغ به الناس ما أمروا به، وما نهوا عنه. أو لأنه فيه بلاغ، وكفاية عن غيره.**

7- **وصفه بأنه تذكرة فقال :** ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ﴾ **(الحاقة: 48)) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن(** 9 **مرات). وسمي تذكرة؛ لأنه يذكر من خالفه بالردع، والزجر.**

8- **وصفه بأنه علم فقال :** ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ **(الرعد: 37)) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن (**105 **مرات). وسمي علما؛ لأنه جمع كل علوم الكتب السماوية السابقة؛ ولأنه علم للناس فيهتدوا به إلى الإيمان.**

9- **وصفه بأنه فصل فقال :** ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ **(الطارق: 13)) وقد وردت هذه الكلمة في القرآن(** 9 **مرات). وسمي فصلا، لأنه يفصل بين الحق والباطل لا هزل فيه.**

10- **وصفه بأنه نور فقال:** ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾(النساء: 174) **وقد وردت هذه الكلمة في القرآن** (43 **مرة). وسمي نورا؛ لأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام**[2].

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص36.

2- غازي عناية، مرجع سابق، ص37.

لقد نال القرآن الكريم المنزلة العظمى في كل النواحي والمجالات، فكان بحق الكتاب الخالد والمعجزة الكبرى والحجة البالغة، وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد ذلك، وحسبنا من ذلك ما روى عن علي – رضي الله عنه – قال: سمعت ﷺ يقول "ستكون فتن كقطع الليل المظلم" قلت يارسول الله وما المخرج منها؟ قال: " كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم، هو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علم بعلمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم"[1]

وقال (ابن قيم الجوزية): " أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة وعجيب السّرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفضلاء، وألغى بلاغة البلغاء..." [2] فالقرآن على حسب قول(ابن القيم) محتوٍ على جوانب الفصاحة والبلاغة، ما ناظره بليغ إلا تفوّق القرآن عليه، وما عبّر فصيح عن معنى إلا وجدته أقدر على التعبير منه عنه بأبهى لفظ وأجزله وأعذبه وأبينه.

ومن خصائص الأسلوب القرآني الفذ أنه يجمع بين الجزالة والسلامة، والقوة والعذوبة، وحرارة الإيمان، وتدفق البلاغة، فهو السحر المدهش والنور الباهر والحق الساطع والصدق المبين، ولما سمعه فصحاؤهم وبلغائهم وأرباب البيان فيهم سجدوا لله خاشعين.

رابعا: مفهوم علوم القرآن وأهميتها

أ- مصطلح علوم القرآن:

كان اهتمام المسلمين بالقرآن نفسه، أي من حيث الحفظ والفهم والعمل بأحكامه وتوجيهاته وإرشاداته... هذا هو التوجيه أو المنهج الذي كان سائدا بين أجيال مجتمعات المسلمين الأوائل، ولم يكن هناك مصطلح باسم (علوم القرآن).. فألوان العلوم الإسلامية عامة لم تنشأ باكرا، أو بصورة مواكبة لنزول الوحي، بسبب أن الصحابة والمسلمين الأوائل كانوا يتذوقون الأساليب الرفيعة، ويفهمون بيسر مقاصد الشارع وأسرار التشريع، وغايات التكليف، فإذا أشكل عليهم فهم شيء ما سألوا عنه النبي ﷺ.

1- الترمذي، **سنن الترمذي**، ج 10، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 147.

2- ابن قيم الجوزية، **كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، تح: محمد بدر الدين النعاسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1908. ص 6.

وبعد انتشار الكتابة بين المسلمين ظهرت بعض المعارف المتعلقة بالقرآن ، وكان قبل ذلك تتناقل مشافهة بين العلماء والرواة، وفي مقدمة تلك المعارف : معاني القرآن وغريب القرآن، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وإعراب القرآن....إلخ.

وقد ذكر بعض مؤرخي العلوم أن أول من استعمل مصطلح علوم القرآن هو (علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي) (ت 430 هـ)... ولكن (ابن النديم) ذكر في كتابه "الفهرست" أن (ابن المرزبان) هو أول من استعمل هذا المصطلح خلال القرن الثالث الهجري، وذلك من خلال مصنفه "الحاوي في علوم القرآن" الذي يقع في سبع وعشرين جزءا، لم يصلنا غير عنوانه.

لكن منذ منتصف القرن الخامس الهجري ظهرت المؤلفات الموسوعية في علوم القرآن، واستمر التأليف في هذا الباب حتى هذا الوقت من تاريخنا.

ونحن ندرك بأن مصطلح علوم القرآن صار علما ولقبا للمباحث والمعارف المدونة في موضوع القرآن بعد أن كانت مبعثرة في كتب كثيرة مثل كتب التفسير وغيرها. وصار علما واحدا بعد أن كان جملة علوم (علم المكي والمدني – علم الناسخ والمنسوخ – علم أسباب النزول..إلخ.)...

من هنا نستطيع القول بأن علوم القرآن : " **علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، من حيث نزوله وترتيبه، وكتابته وجمعه، وقراءته وتفسيره، وإعجازه وبيانه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر ضمن هذا العلم**".... وقد أبقى على لفظ علوم بالجمع، إشارة إلى أن المصطلح (علوم القرآن) يشير إلى علوم كثيرة تجمعت في مصب واحد. لكن هذا المصطلح الجامع لم يمنع العلماء من الكتابة في جزئيات منه والتوسع فيها مثل المحكم والمتشابه والإعجاز ونحو ذلك.

كما يقصد بعلوم القرآن **الأبحاث التي تتعلق بكتاب الله المجيد الخالد، من حيث النزول، والجمع، والترتيب، والتدوين، ومعرفة أسباب النزول، والمكي منه والمدني، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن الكريم، أو لها صلة به...** والغرض من هذه الدراسة فهم كلام الله عز وجل على ضوء ما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- من توضيح وبيان، وما نقل عن الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم أجمعين- ،حول تفسيرهم لآيات القرآن، ومعرفة طريقة المفسرين وأساليبهم في التفسير، مع بيان مشاهيرهم ومعرفة خصائص كل من المفسرين، وشروط التفسير، وغير ذلك من دقائق هذا العلم[1].

ولفظ علوم القرآن مركب إضافي، فعلوم مضاف والقرآن مضاف إليه، الأمر الذي يقتضي شرحهما، ثم تعريف المركب(علوم القرآن) بوصفه علما مستقلا على هذا الفن.

1- محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، ط3، دار البعث، قسنطينة، 1986، ص 6.

أما العلوم فجمع علم، والعلم في اللغة مصدر يعني الفهم والمعرفة، وفي لسان الشرع العام يطلق العلم على معرفة الله وآياته وصفاته وأفعاله في عباده وخلقه[1].

وفي عرف التدوين يطلق العلم على المسائل المضبوطة بجهة واحدة سواء أكانت وحدة الموضوع أم وحدة الغاية.

❖ معنى علوم القرآن بالمركب الإضافي:

هو ذلك العلم الذي يخدم دراسة القرآن الكريم من جوانب عديدة، وتشمل: علم التفسير، والقراءات، ونزول القرآن، وجمعه، وترتيبه، وإعجازه ،والمكي والمدني، وعلوم الشريعة، وعلوم العربية وكل ما له صلة بالقرآن الكريم.

ب- نشأة هذا العلم وتطوره:

لا ريب أن الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم كانوا على علم واسع بكتاب الله، أما الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يتلقى الوحي من الله تعالى، وقد تكفل الله بجمع القرآن في صدر نبيه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (القيامة: 17) ، وأما الصحابة فلأنهم كانوا عربا خلصا يتمتعون بقوة الحافظة وتذوق الأساليب البليغة، وصفاء الفطرة، الأمر الذي جعلهم يفهمون ما يتنزل على رسول الله ﷺ ، وإذا أشكل عليهم فهم شيء من كتاب الله سألوا النبي ﷺ فعرفهم.

ولكن هذه المعارف بالقرآن وعلومه لم تدون ولم تجمع في مصنفات في ذلك العصر، إذ كان التعويل على التلقي وعلى الحفظ، ولم تكن أدوات الكتابة ميسورة لديهم، يضاف إلى ذلك أن الرسول ﷺ نهاهم أول الأمر عن كتابة غير القرآن، وكان القصد من هذا النهي مخافة أن يختلط بالقرآن الكريم ما ليس منه، فلم تكتب علوم القرآن، ولم يكتب الحديث الشريف، وظلت علوم القرآن تروى بالتلقين والمشافهة على عهد رسول الله ﷺ ، ثم على عهد الخليفتين أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما- حتى كانت خلافة عثمان -رضي الله عنه- ، وبدأ اختلاط العرب بالأمم الأخرى نتيجة اتساع رقعة الإسلام وانتشاره، مما دفع سيدنا عثمان- رضي الله عنه - إلى نسخ المصاحف وجمع المسلمين على مصحف إمام، خوفا من اختلاف في فهمه، وتأويله، ويؤدي ذلك إلى تنازع المسلمين وتفرقهم، ويعد ذلك وضعا لعلم من علوم القرآن، سمي فيما بعد علم رسم القرآن أو الرسم العثماني، ثم جاء علي رضي الله عنه ولاحظ العجمة واللحن في قراءة القرآن، فأمر أبا الأسود

1- الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص1.

الدؤلي بوضع القواعد اللازمة للغة القرآن، ويعد ذلك وضعا لعلم من علوم القرآن هو علم إعراب القرآن.

ج- مرحلة تدوين علوم القرآن:

تعدد تدوين العلوم وتصنيفها إلى كتب وأبواب وحقول في القرن الثاني الهجري، وقد كان لعلماء الحديث جهود طيبة مباركة فبذلوا طاقاتهم في جمع السنة النبوية، وقد اشتملت مصنفاتهم على أبواب التفسير وعلوم وفضائل القرآن، ثم تابع ذلك الجمع إفراد التفسير بمؤلفات مستقلة خاصة به، وبجوار جهود العلماء في تفسير القرآن نشأ التأليف الموضوعي في مباحث تتعلق بعلوم القرآن منها:

- أسباب النزول لعلي بن المديني(ت1 12 هـ).

- والناسخ والمنسوخ لأبي عبد القاسم من سلام(ت 224هـ).

- وظهر في القرن الرابع أبو بكر بن الأنباري(ت 328 هـ) بكتاب أسماه(علوم القرآن.)

وتتابع التأليف تحت مصطلح علوم القرآن فألف (عبد الرحمان بن الجوزي) كتابا سماه "فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن"، وظهر في القرن السابع (علم الدين السحاوي) بكتابه الذي سماه "جمال القراء وكمال الإقراء"

وفي القرن الثامن الهجري برز (بدر الدين الزركشي) بكتابه "البرهان في علوم القرآن"، والناس من بعده عيال عليه، ويعد (جلال الدين السيوطي)فارس هذا الميدان بكتابه القيم "الاتقان في علوم القرآن".

وظهر في العصر الحديث العلامة (عبد العظيم الرزقاني) بكتابه الرائع "مناهل العرفان في علوم القرآن".

ومن الكتب المعاصرة النافعة في هذا العلم كتاب "التبيان في علوم القرآن" ل(محمد علي الصابوني) و "مباحث في علوم القرآن" ل(صبحي الصالح)،و "النبأ العظيم" ل(عبد الله دراز)، و"المعجزة الكبرى" ل(محمدأبو زهرة) ، و "نظرات في القرآن" ل(الشيخ محمد الغزالي) [1].

د- أهمية وأهداف دراسة مادة علوم القرآن الكريم:

موضوع علوم القرآن الكريم موضوع متقدم في التاريخ، والقرآن الكريم بعلومه المختلفة من العلوم المهمة والنافعة، للإعتبارات التالية:

- ✓ زيادة الثقة واليقين بعظمة القرآن الكريم وإعجازه، وأحكامه.
- ✓ الوقوف على دقيق أسراره التي لا تنتهي.

1- فضل حسن عباس، **محاضرات في علوم القرآن**، ط1، دار النفائس، بيروت، 2007، ص29.

- ✓ إدراك الجهود العظيمة عبر التاريخ التي بذلها العلماء لخدمة هذا الكتاب العظيم.
- ✓ التسلح بعلوم قيمة تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد المطاعن والأباطيل والشبهات من كل الجهات.
- ✓ تقوية وازع الإيمان في نفوس المسلمين وحثهم على الإهتمام بالقرآن الكريم والدفاع عنه.
- ✓ نيل الأجر والثواب وتحقيق العبودية في الإهتمام بكتاب الله.
- ✓ كل مسلم يتعامل مع القرآن يحتاج إلى أن يعرف مفردات علوم القرآن وخصائصه، وكل ما له علاقة به[1].

ولمعرفة علوم القرآن فوائد جليلة يمكن حصرها فيما يلي:

1. تساعد على فهم القرآن الكريم واستنباط الاحكام والآداب منه.
2. تزود الدارس بجملة من المعارف المتعلقة بالقرآن الكريم.
3. إن الدارس لهذه العلوم يتسلح بسلاح علمي قوي يمكنه من دحض مفتريات أعداء القرآن وفضح شبهاتهم، وإبطال مزاعمهم وغير ذلك، لأن الدفاع عن القرآن الكريم من أوكد الواجبات على المسلم.
4. إن الدارس لهذه العلوم يكون ذا حظ كبير وقسط وفير من الثقافة القرآنية، وما اشتمل عليه القرآن من معارف وعلوم تزكي نفسه وتنور عقله[2].

خامسا : دواعي علاقة القرآن الكريم باللغة والأدب العربي

ربما يثور تساؤل حول أهمية و جدوى دراسة القرآن وعلومه المختلفة ضمن سياق التخصصات الأدبية بشتي فروعها ... ولا شك أن التساؤل بحد ذاته في هذا الموضع مشروع من الناحية المنهجية على الأقل، وهو ما يقتضي وقفة توضيحية تكون مدخلا موضوعيا لهذا المساق الهام ، كما تضع مضمونه المعرفي في إطاره الفكري الطبيعي ، كي تكون المقاصد العامة معلومة وواضحة في ذهن الدارس أو المنتسب لهذا التخصص .

إن التعرض لموضوعات القرآن الكريم في دراسة الأدب العربي واللغة العربية،لا ينطوي على شيء من الخلط بين الآداب والإسلاميات .. فالقرآن له أوجه شتى، كلها تصور للعقل الإنساني معجزته التي جعلها الله تعالى حجة تشهد له بأنه وحي الله ، ورسالته الأبدية.

فهناك الجانب التشريعي الذي لا ينفك عن الحاجة إلى دراسته واستيعابه كلّ دارس للفقه والتشريع والقضايا القانونية بصفة عامة ، وهنالك أيضا جانب متعلق بقضايا العقيدة والسلوك والفلسفة

1- بن عبد الله واسيني، **محاضرات في مادة علوم القرآن**، جامعة لمسيلة، 2013، ص 6،(بتصرف).

2- عبد الفتاح القاضي، **من علوم القرآن الكريم**، ط1، المكتبة الأزهرية ، القاهرة، 2000، ص ص 6- 7.

والأخلاق، يحتاج إليه كل دارس لأصول الدين والمناهج الأخلاقية والفلسفية ، بل كل دارس للعلوم الإنسانية والاجتماعية وإلى جانب ذلك هناك جانب أدبي أصيل في القرآن ، وهذا الجانب تحديدا يعد بعيد الجذور في تاريخ الأدب العربي ، عظيم الأثر في توجيهه وتطويره و تقويمه . من أجل ذلك كان لا بد لمن أراد دراسة الأدب العربي والتخصص في اللغة العربية والثقافة العربية، أن يعكف على دراسة القرآن وعلومه، وهو كلما توسع في العلوم العربية وثقافتها احتاج مع ذلك إلى مزيد من التوسع في الدراسات القرآنية، فنحن نلاحظ في مجال النبوغ الأدبي واللغوي، أن الأدباء الذين تميزوا بعطائهم الأدبي والفكري العميق هم أولئك الذين لهم خلفية قوية بالقرآن حفظا ودراسة وفهما، وأبين مثال على ذلك: طه حسين والعقاد والرافعي والمنفلوطي الخ ...

إن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام ، لأنها كانت ترجمانا لوحي الله، ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته؛ فالقرآن لا يسمى قرآنا إلاّ فيها ، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها .. لذلك سارعوا منذ الوهلة الأولى -بعد اعتناقهم الدين الجديد - إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها، بل والتعصب لها والدفاع عنها.

وهذا هو السر في كون الذين نبغوا في العربية وآدابها وثقافتها وعلومها .. هم من أجناس و أعراق ليست عربية.

فولاؤهم للقرآن والوحي جعلهم ينافحون عن العرب والعربية ، بل جعلهم ينظرون الى اللسان العربي على أساس أنه جزء من الوحي وركن من الرسالة الخاتمة.

يقول(أبو منصور الثعالبي) في كتابه" فقه اللغة وسر العربية ":

" والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة (أي من الدين والفضل)

إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد. ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر المناقب كالينبوع للماء ... أو كالزند للنار ، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها وتصاريفها ، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة و إثبات النبوة ، التي هي عمدة الإيمان لكفى بها فضلا يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره"[1].

ويقول الإمام (جلال الدين السيوطي) في كتابه الشهير "المزهر في علوم اللغة ":

" ولا شك أن علم اللغة من الدين ، لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة ".

أخرج(أبوبكر بن الأنبارى) في كتاب "الوقف والابتداء" بسنده عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- ، قال: "لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة..."

1- السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح: فؤاد علي منصور، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 2 .

وقال(الفارابي) في خطبة "ديوان الأدب": "القرآن كلام الله وتنزيله، فصّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويذرون، ولا سبيل الى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة »[1]

وقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم في اللغة العربية، بل هو أعظم مؤثر فيها، وإليه ترجع نشأة معظم علوم اللغة العربية، من نحو، وصرف، وصوت، ولغة، ومعجم، ودلالة، وبلاغة....

ويمكن حصر دواعي علاقة القرآن الكريم باللغة والأدب العربي فيمايلي:

- على كل دارس للأدب العربي، والمتخصص في اللغة العربية، والثقافة العربية، أن يعكف على دراسة القرآن وعلومه، وكلما توسع في العلوم العربية وثقافتها، احتاج مع ذلك إلى مزيد من التوسع في الدراسات القرآنية.
- إن الأدباء المشهورين بعطائهم العميق، لهم خلفية قوية بالقرآن حفظا، ودراسة وفهما، ك:طه حسين، والعقاد، والرافعي، والمنفلوطي، و البشير الابراهيمي....
- مع نزول القرآن الكريم أصبح للعربية شأن آخر، وكرامة وخلود. وأصبح العرب يهتمون بها أكثر على أنها جزء من الوحي. وبعد اعتناق الدين الاسلامي يسارع المعتنقون إلى تعلم اللغة العربية والدفاع عنها، ولذلك ظهر نبغاء في العربية من غير العرب.
- القرآن الكريم هو أول كتاب ظهر في تاريخ اللغة العربية، وظهرت حركة التأليف والتدوين بعد ذلك متأثرة به.
- مع نزول القرآن الكريم إقتربت اللهجات العربية المختلفة وذابت مظاهر الخلاف بينها، وتلاقت كلها في لهجة عربية واحدة هي قريش التي نزل بها القرآن.
- ليس للعرب قبل نزول القرآن مثلا يحتذون به في البلاغة والبيان، فكانت مذاهبهم شتى. ولما نزل القرآن والتفوا حوله سجدوا لبلاغته، وأجمعوا على اختلاف أذواقهم بأن هذا هو البيان الذي لا يصل إليه نقد، ولا يجاريه أحد. وأصبحت بلاغة القرآن هي أصل بلاغة كل نص وتعبير.
- اختفاء بنزول القرآن الكلمات الجافية، والثقيلة على السمع والمتوحشة عن ألسنة العرب رويدا رويدا، وأصبح متن اللغة العربية مطبوعا بالطابع العربي .

أ- أهم وجوه تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية:

- القرآن هو السبب الرئيس في نشوء علوم اللغة العربية بدءا بالنحو الذي ظهر على يد(أبي الأسود الدؤلي) بإيعاز من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وصولا إلى العلوم الأخرى، حيث ظهرت مصنفات عديدة تقعد لعلوم اللغة، ككتاب (سبويه) الذي ضمنه العديد من الشواهد القرآنية[2] .

1- السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، المرجع السابق، ج2، ص 308.

2- مساعد بن سليمان الطيار، **أنواع التصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم**، ط3، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1434هـ، ص 45.

- **القرآن الكريم أدى إلى المحافظة على اللغة العربية: يمثل القرآن الكريم الحصن المنيع الذي يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي تحاك ضد لغة القرآن. ورغم ما تعرض إليه العرب من مؤامرات، إلا أن اللغة العربية ما تزال باقية وموجودة، بفضل القرآن الكريم الذي تولى الله تعالى حفظه بنفسه. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 09)**

- **القرآن الكريم يساهم في تقوية اللغة العربية: لقد كان القرآن الكريم سبب قوة اللغة العربية ورقيها لفصاحة ألفاضها وجلال معانيها ورقي أساليبها.لذلك اهتم بها العلماء، وصارت تحوز على محاسن الجمال وأنواع الكمال. قال عنها المستشرق (بروكلمان):" بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطق بها الشعوب الاسلامية"[1]**
- **يساهم القرآن الكريم في توحيد لهجات العرب على لغة قريش: يؤكد الدكتور (شوقي ضيف) هذا الأمر بقوله: "وأول ما كان من آثار القرآن الكريم أنه جمع العرب على لهجة قريش"[2] لقد كانت اللهجات العربية كثيرة ومختلفة. وقد نالت قريش الحظ الأوفر في ذلك، لذلك وجدنا الصحابي عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، ودعا إلى ذلك صراحة عندما أمر بكتابة المصحف بقوله:" أكتبوا هذه في مصحف وإن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القراءة فاكتبوها بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسان قريش".**
- **يجعل القرآن الكريم من اللغة العربية لغة عالمية: جاء الاسلام عالميا بلسان القرآن الكريم؛ لأن رسالة محمد ﷺ جاءت عالمية بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107) لذلك فالقرآن الكريم كتاب عالمي؛ لأنه يتضمن هذه الرسالة، وبأن القرآن الكريم جاء عربيا فإن هذه اللغة ستكون عالمية، وما نراه اليوم ونسمعه عن حفاظ القرآن الكريم ومرتليه في الفضائيات من مختلف الجنسيات يؤكد ذلك.**
- **يجعل القرآن الكريم من اللغة العربية لغة تعليمية: لقد كان العرب قبل نزول القرآن يتكلمون على السليقة، فلم يكونوا محتاجين إلى قواعد النحو و الصرف لعدم حاجتهم إليها. ولما اتسعت الفتوحات الاسلامية احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، وانتشر اللحن في قراء القرآن،**

1- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي** ، تح: عبد الحليم النجار، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص 56.

2- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج2، ط24، دار المعارف، القاهرة، 2014، ص 32.

مما أدى بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه – أن يأمر أبا الأسود الدؤلي بوضع قواعد النحو والتي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات[1].

- يهذب القرآن الكريم ألفاض اللغة العربية: كان في لغة العرب قبل نزول القرآن الكريم الخشن والحوشي والغريب، والأدب الجاهلي يشهد بذلك، لوجودهم في الصحراء، بما يؤكد أن الانسان ابن بيئته. وبفضل نزول القرآن الكريم انتقل العرب من الجفاء إلى النعومة، ومن الذل إلى العز، ومن البداوة إلى الحضارة، ومن الانفرادية إلى التوحد، ومن التقوقع إلى العالمية، ومن الحوشي والغريب إلى السهولة واليسر.
- يعد القرآن الكريم منبع المعاني والأساليب والمعارف التي شاعت في أدب ذلك العصر.
- هذب القرآن الكريم ألفاظ وأساليب اللغة بإضافة مدلولات جديدة لها كالصلاة والزكاة، وكذلك استحدث ألفاظا وتراكيب وموضوعات لم يعرفها العرب من قبل.
- عمل القرآن الكريم على توسيع نطاق اللغة في بلاد الفرس والروم وغيرها من البلاد التي فتحها المسلمون.
- القرآن الكريم خلد العربية بخلوده، مهما حاول الأعداء تحريفها.
- جعل القرآن الكريم الكتاب والخطباء والأدباء يحاكون ألفاظ وأساليب القرآن.
- جعل القرآن الكريم العرب يحرصون على تتبع اللغة العربية وجمع شعرها وحكمها وألفاظها.
- شجع القرآن الكريم المسلمين على دراسة تاريخ الماضين من خلال قصص الأنبياء والسابقين.
- اشتمل القرآن الكريم على صور البيان والبديع كانت أساسا لنشأة علوم البلاغة.
- يظهر أثر القرآن الكريم في خطب الرسول ﷺ، وأحاديثه، وخطب الصحابة، والتابعين، ورسائلهم، جمل متناسقة متخيرة الألفاظ، حسنة التأليف، رائعة التصوير، منطقية العرض، تنفذ إلى أعماق العقل والقلب.

ب- أهمّية القرآن وعلومه في الدّراسات اللّغوية والأدبية:

ينبغي أن نحدّد المقصود بكلٍّ من الدّراسات اللغوية والدّراسات الأدبية، وفقا لما يدرسه الطّالب في خلال سنوات التّدرج من مقاييس، ثمّ نحاول أن نتلمّس أهمّية القرآن بالنّسبة إليهما، ثمّ أهمّية علومه، لأنّ ضبط هذه المجالات الغارقة في التّعميم ضروريٌّ من النّاحية المنهجية.

فأمّا عن الدّراسات اللغوية فنجد تلك الأهمّية حاضرة في المقاييس الآتية:

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 236.

- في السّداسي 01: علم الصّرف - في السّداسي 02 : - علم النّحو، فقه اللغة - في السّداسي - 03: علم النّحو، أصول النّحو (01) السّماع - في السّداسي 04: علم الصّرف، فلسفة اللغة - في السّداسي 05: اللسانيات العربية، ولسانيات النّص، والمدارس النّحوية، وعلم الدّلالة، والمعجمية ونظرية النّظم - في السّداسي 06: أصول النّحو (02)، وعلم المفردات والصّوتيات.

وأمّا عن الدّراسات الأدبية فنجد أهمّية القرآن وعلومه حاضرة في المقاييس الآتية :في السّداسي 01: النّص الأدبي القديم (شعر): الشّعر في صدر الإسلام، وشعر الفتوحات، المراثي النّبوية، شعر الزّهد والتصوّف، الشّعر السّياسي في المشرق والمغرب، النّقد الأدبي القديم (1)، مفهوم الشّعر عند النّقاد المشارقة والمغاربة، نظرية النّظم .البلاغة العربية:وخاصّة ما يتعلّق بالمجاز، والإعجاز القرآني في السّداسي 02 : النّص الأدبي القديم (نثر): الخطابة في صدر الإسلام، والمقامات والمنامات، النّقد الأدبي القديم (2) : النّقد وقضية الإعجاز، قضية التّأويل. مصادر اللغة والأدب والنّقد:وذلك باعتبار القرآن مصدرا للمصادر، تاريخ الحضارة الإنسانية:الحضارة العربية الإسلامية.

سادسا: بيان مفاهيم كل من الكتاب – الوحي – المعجزة – النبي

1- الكتاب[1]:

إن الكتاب والقرآن في كلامنا لفظان مترادفان لدلالة كل منهما على ما بين دفتي المصحف ، وهو الكتاب أي المكتوب ، وهو القرآن أي المقروء ، ولإثبات قصور هذا الإطلاق في كلامنا فإن من تفصيل الكتاب أن قد وردت للفظ الكتاب في المصحف عشرة معان بل أكثر سنذكر منها في هذا المقام تسعا:

-أولاها : بمعنى المكتوب كما في قوله:

﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ (البقرة: 235)

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ (النور: 33)

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ (عمران: 78)

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾ (النمل: 28)

ولا يقع شيء منها على الكتاب المنزل من عند الله على الرسل والنبيين.

1- موقع Al-qaradawi.net، تاريخ النشر: 2019/06/2.

ويعني حرف البقرة أن على المتربصة بنفسها أربعة أشهر وعشرا إن لم تكن من أولات الأحمال أن تكتب يوم ابتدأت العدة ليبلغ الكتاب أجله المعلوم وهو انقضاء العدة ، ولكأن العدة دين عليها ووجبت كتابة الدين كما في قوله: ﴿وَلاَ تَسْأَمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِ﴾ (البقرة: 282).

ويعني حرف النور أن على المكاتب أن يجعل لنفسه أجلا معلوما يفتدي به من الرق وليكتب ذلك الأجل يوم ابتدأ العقد.

ويعني حرف آل عمران أن الذين يلوون ألسنتهم بما كتبوه من عند أنفسهم إنما هو من عند أنفسهم لا من عند الله كما في قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران: 78) أي ليس هو من الكتاب المنزل من عند الله.

ويعني حرف النمل أن الكتاب الذي حمله الهدهد إلى ملكة سبإ هو رسالة سليمان المعلومة.

- وثانيها : بمعنى الفريضة على المكلفين كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰباً مَّوْقُوتاً﴾ (النساء :103) أي فريضة فرضت عليهم في أوقات معلومة ، وقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: 24) يعني أن تحريم المذكورات فريضة من الله عليكم ، وكذلك دلالة قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ (البقرة: 183) وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾. (البقرة: 178) وشبهه أي فرض عليكم

- وثالثها : اللوح المحفوظ كما في قوله:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾. **(الحديد: 22)**

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلأُولَىٰ. قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾.**(طه: 51.52)**

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَابِ﴾. **(الأعراف: 37)**

- ورابعها : الصحف التي سيؤتاها يوم يقوم الحساب صاحب اليمين بيمينه وصاحب الشمال بشماله

وأشقى منه وراء ظهره كما في قوله:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾. **(الانشقاق: 7-8)**

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾. **(الحاقة: 25)**

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾. **(الانشقاق: 10)**

ويعني الأعمال الفردية التي لم يشترك معه غيره فيها.

-وخامسها : بمعنى الظرف المكاني الذي تنتقل إليه الأرواح والصور الرقمية المستنسخة من الأعمال بعد الموت ، أما أرواح الأبرار بعد موتهم فيصعد بها إلى عليين بعد أن تفتح لهم أبواب السماء فيجدون أمامهم أعمالهم الصالحة مستنسخة تعرض عليهم كأنما هي كتاب مرقوم أي لا يفرقون بينها وبين ما عملوه في الدنيا أي هي صور مستنسخة من الأصل رقمية كما في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ. وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ. كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ **(المطففين 18-21)**، **وكذلك يشهد أي يحضر المقربون في عليين أرواح الأبرار بعد موتهم حين صعودها إلى عليين فيسأل الأولون منهم اللاحقين عمن تركوا خلفهم من الأهل والأصحاب كما في الأحاديث النبوية التي بيّن بها النبي الأمي** ﷺ **حرف المطففين. وأما أرواح الفجار بعد موتهم فيهبط بها إلى أسفل في سجين في أعماق الأرض فيجدون أمامهم أعمالهم السيئة مستنسخة تعرض عليهم كأنما هي كتاب مرقوم أي هي صور رقمية مستنسخة من الأعمال في الدنيا كما في قوله:** ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾. **(المطففين: 7-9)**

-وسادسها : كتاب كل أمة يوم القيامة كما في قوله:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. **(الجاثية: 28-29)**

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. **(الزمر: 69)**

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾. **(الكهف: 49)**

ويعني الأعمال الجماعية التي اشترك فيها اثنان فأكثر كتسعة رهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون يوم تحالفوا وتقاسموا أن يغتالوا صالحا رسول الله.

وتعني دلالة لفظ الكتاب الخامسة والسادسة وقوعها على ما ينظر إليه ويعرف ولو كان صورا معروضة وكما ذكر آنفا أنه الظرف المكاني الذي تنتقل إليه الأرواح وصور الأعمال بعد الموت ، وإنما احترزت بهذا الوصف من دلالة لفظ الكتاب على الحروف المكتوبة المقروءة وظرفها المكاني الذي يجمعها ويشملها وهي الصحف.

- وسابعها : الكتاب الذي أوتيه جميع النبيين والرسل قبل التوراة كما في قوله:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ **(البقرة: 213)**

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّيْنَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ **(آل عمران: 82)**

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ **(الحديد: 25)**

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ﴾ **(البقرة: 129)**

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً. فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً﴾ **(الفرقان: 35-36)**

ولا يخفى أن كثيرا من النبيين والرسل كانوا قبل التوراة التي أوتيها موسى ومنهم إبراهيم وإسماعيل ، ولا يخفى أن حرف الفرقان يعني أن كتابا قد أوتيه موسى قبل رسالته إلى فرعون فهو كالذي أوتيه كل نبي ورسول قبل النبي الأمي ﷺ ، ولا يعني حرف الفرقان التوراة التي أوتيها موسى بعد إغراق فرعون وجنوده ، ولا يخفى أن عيسى قد علمه ربه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل

مما يعني المغايرة وأن لكل من الأربعة مدلول خاص به وإلا لزم القول بأن للتوراة والإنجيل مدلول واحد وهو ظاهر الفساد والسقوط.

- وثامنها وقوع لفظ الكتاب على التوراة أو الإنجيل أو هما معا كما في قوله:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ﴾. **(الإسراء: 4)**

﴿فَاسْأَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾. **(يونس: 94)**

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَابُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾. **(الأنعام: 156)**

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ﴾. **(المائدة: 110)**

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ﴾. **(آل عمران: 48)**

وكذلك حيث اقترن لفظ الكتاب بموسى سوى حرف الفرقان وحيث ورد لفظ أهل الكتاب والذين أوتوا الكتاب.

ولن يصح إبدال لفظ الكتاب في الأحرف المذكورة وشبهها بلفظ القرآن لأن للقرآن دلالة أخرى لا يصح إيرادها في غيرها كما يأتي تحقيقه.

-وتاسعها الكتاب المنزل على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كما في قوله:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾. **(آل عمران: 2)**

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ ٱللَّهُ﴾. **(النساء: 105)**

﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾. **(الأنعام: 155)**

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾. **(الأنبياء: 10)**

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ لِلنَّـاسِ بِٱلْحَقِّ﴾. **(الزمر: 41)**

إن الكتاب الذي أوتيه النبيون والرسل قبل التوراة لا اختلاف بينه وبين الكتاب الذي تضمنه كل من التوراة والإنجيل والقرآن ، لأن التوراة قد حوت الكتاب وزادت عليه نبوة موسى ، وحوى الإنجيل الكتاب

وزاد عليه نبوة عيسى ، وحوى القرآن الكتاب وزاد عليه نبوة خاتم النبيين ﷺ ونبوة النبيين قبله كما في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾. (المائدة: 48)

وإنما علم الرسل والنبيون قبل التوراة الكتاب غيبا فكانوا يعلّمون أممهم منه بقدر استعدادهم للتلقي ثم أنزل الله الكتاب مع موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وتعبد الناس بدراسته ودرايته.

إن الكتاب هو ما تضمن المصحف من الإيمان بالله رب العالمين ، وما تضمن عن العالمين كخلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما ، وتدبير أمر الخلق كله ، وما حوى من النعم في الدنيا ومن وصف مخلوقاته وكذا المؤمنون والكفار والمشركون والمنافقون ، وما حوى من التشريع أي الخطاب الفردي والجماعي ، ومن التكليف لسائر العالمين ، وما تضمن عن الحياة والموت والقدر كله والبعث والحساب والجزاء بالجنة أو النار.

وأما القرآن فهو ما حوى المصحف من القصص والذكر والقول والنبوة والأمثال ومن الحوادث التي وعد الله أن تقع بعد خاتم النبيين ﷺ قبل النفخ في الصور.

وهكذا كان من تفصيل الكتاب أن قوله:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (النساء: 105)

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (الزمر: 2)

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: 127)

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوٓاْ آيَاتِ ٱللَّهِ هُزُواً وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 231)

قد تضمن لفظ الكتاب لاشتماله على الحكم بين الناس وعلى الأمر بالعبادة وعلى الأحكام الشرعية التي شرع الله للناس ، ولو أبدل لفظ الكتاب بلفظ القرآن في الآيات المتلوة المذكورة لأنخرم المعنى كما سيأتي.

إن عاقلا أو مغفلا لن يقول إنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم سيعدمه ويعيد خلقه كما خلقه أول مرة ، وكان حريا بالناس أن يفهموا الكتاب لوضوحه وهل في الله فاطر السماوات والأرض شك ؟ ومتى احتاج الأمر بالصلاة والزكاة وسائر التكاليف إلى تدبر ، وإنما هي تكاليف من رب العالمين فمن شاء زكى نفسه بها ومن شاء دساها بالإعراض عنها.

وكان من تفصيل الكتاب أن قوله:

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ. إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ إِنِّيٓ آنَسْتُ نَارا﴾. **(النمل: 7.6)**

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ﴾. **(يوسف: 3)**

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾. **(الأنعام: 19)**

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. **(القمر: 17)**

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾. **(ق: 45)**

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾. **(الزمر: 27)**

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ. بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ. وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِمْ مُّحِيطٌ. بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾.**(البروج: 17-22)**

وشبهه قد تضمن لفظ القرآن لاشتماله على القصص والوعد في الدنيا والذكر والأمثال ولو أبدل لفظ القرآن فيه بلفظ الكتاب لانخرم المعنى.

ولقد أدرك كفار قريش هذا التفصيل وقالوا كما في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَلاَ بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ **(سبأ: 31) أي لن يؤمنوا بالقرآن ذي الموعودات في الدنيا ولا بالكتاب ذي التكاليف التي على رأسها ترك الأوثان وعبادة الله وحده ، وذي الموعودات بالآخرة.**

ومما ذكره الشيخ يوسف القرضاوي-حفظه الله- في هذا الباب ما يلي[1]:

الكتاب هو القرآن، والقرآنُ هو الكتاب، الله تعالى يقول: ﴿حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ **(الدخان: 1-3).** ﴿ **أَنزَلْنَاهُ** ﴾: أي **الكتاب الذي هو القرآن** ﴿ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

1- موقع Al-qaradawi.net، تاريخ النشر: 2019/06/2.

وفي سورة يوسف: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: 2،1).

﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ أي: الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

وفي سورة الزخرف: ﴿حم.وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الزخرف:1-3).

وفي سورة فُصِّلت: ﴿حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(فصلت:1-3)،

كتابٌ فُصِّلت آياته قرآنًا عربيًا، ففي نفس الآية ذُكر الكتاب والقرآن.

فهؤلاء المتعالمونَ الذين جاءونا على آخر الزمن، وجاءوا بما لم يقُل به عالمٌ طوال أربعةَ عشرَ قرنًا، ويزعمون أنّهم الذين يفهمونَ القرآن وحدهم، جاءوا بقرآن جديد غير القرآن الذي فهمه محمد صلى الله عليه وسلم، والصحابة، هم فهموا ما لم يفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القرآنُ هو الكتاب، والكتابُ هو الذِّكر، يختلف المفهوم ويتّفق الماصَدَق ، كما نقول في علم المنطق، يعني: الأسماء لها مفهومات مختلفة، ولكن تصدُق على شيء واحد، فمثلاً السيف له أسماء كثيرة: السيف، الحسام، الصّارم، البتّار، كلٌ هذه الأسماء لها معنى، ولكن هو كله الماصدق. الموضوع واحد، فالذكر هو القرآن، والكتاب هو القرآن، والفرقان هو القرآن.

ونجد ذلك في سياق واحد، فالله تعالى يقول في سورة فُصِّلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ - أي: الذكر- لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:41، 42).

ثم قال بعدها: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ﴾ - أي: الكتاب أو الذكر - ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ (فصلت: 44) فالذكر هو الكتاب وهو القرآن.

هؤلاء الذين يأتوننا بأشياء لا دليلَ عليها ولا برهان قطعي، يخالفون الأمة كلّها، يخالفون عصور الأمة، المفسّرين والفقهاء والمُحدّثين والمتكلّمين واللغويين وكل علماء الأمة، يأتي هؤلاء ليخالفوهم ويزعُموا أنّهم هم الذين يملكون الصّواب ويملكون الحقيقة وحدهم.

2- تعريف الوحي

أ- لغة: تدلّ مادة الوحي على معنى السرعة والخفاء، ويقال: وَحَى إليه وله " يَحِي " وحيا أشار وأومأ إليه، وأوحيت إليه إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، فكل ما تلقيه إلى غيرك خفية فهو من الوحي، قال (ابن فارس) في "مقاييس اللغة": " الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى

غيرك فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان"[1]. فالوحي في اللغة يعني الاعلام في خفاء بأي صورة كانت.

❖ **أنواع الوحي بالمعنى اللغوي:** ويدخل تحت المعنى اللغوي عدة دلالات، منها[2]:

- **الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى** ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ **(القصص: 7).**

- **والإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل** ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ **(النحل: 68).**

- **الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه** ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ **(الأحزاب: 42).**

- **وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان** ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ **(الأنعام: 121).**

- **ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه** ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ **(الأنفال: 12).**

بـ - إصطلاحا : عرف العلماء الوحي اصطلاحا بتعريفات عديدة[3]: فمنهم من عرفه بأنه: " أن يعلم الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية، والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر ".

ومنهم من عرف الوحي بأنه: " كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه ".

وعرفه (الزهري) بأنه: " ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به، ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه مالا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم.

ويمكن أن نستنتج من مختلف التعاريف الإصطلاحية للوحي ما يلي:

- أنه إعلام من الله، وأن الرسل والأنبياء يشعرون بوضوح بهذه الظاهرة.

1- ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1999، ج6، ص 93.

2- الرازي، **مختار الصحاح**، تح، محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1995، ص 297.

3- غازي عناية، **هدى الفرقان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص 48.

- وإدراك النبي أو الرسول لما يلقي إليه، دون أن يتدخل في مضمونه معنى ولفظا (إذا كان الوحي لفظا أيضا).
- اليقين القاطع بأن (الموحى) هو الله.
- أنه ناموس إلهي يتلقى به جميع الرسل والأنبياء ما يلقي إليهم من إعلام.
- الأنبياء والرسل هم من البشر اصطفاهم الله بالنبوة.
- الوحي هو وسيلة الإلهام الإلهي إن كان للملائكة أم للبشر.
- الرسل والأنبياء يشعرون بوضوح بظاهرة الوحي..
- إن ما يلقى به قد يكون كلاما ملفوظا، أي سبق كتابته في لوح محفوظ، وقد يكون معاني يمكن التصرف بآدائها بألفاظ من عند النبي وتبقى إرادته بعيدة عن كل تداخل في مضمون أو لفظ ما يلقي إليه بالوحي.

3- تعريف المعجزة:

أ- لغة: بفتح الجيم وكسرها من العجز وهو عدم القدرة، وفي الحديث: " كل شيء بقدر حتى العجز والكيس "[1].

ب- إصطلاحا: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة[2] .

والقرآن الكريم معجزة الله الخالدة قد جاء على غير المألوف من كلام الناس المعتاد، فهو كلام عربي متميز فريد لا يضاهيه في العربية أي كلام لا في النثر ولا في الشعر ولا في سواهما، فهو إذا خارق للعادة، خارج عن المألوف مما يعهده العرب والناس من كلام[3].

والإعجاز في اللغة العربية هو نسبة العجز إلى الغير قال تعالى ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ (المائدة: 31)

وتسمى المعجزة معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنها أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة. وإعجاز القرآن معناه إثبات عجز البشر – متفرقين ومجتمعين – عن الإتيان بمثله. وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق، وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام التي يعجز البشر عنها[4].

1- ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، ج5، دار صادر، بيروت، 2010، ص 369.
2- السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ط1، ج2، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2010، ص 116.
3- أمير عبد العزيز ، **إعجاز القرآن**، ط1، جامعة النجاح، فلسطين، 2007، ص 10.
4- محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص 89.

4- النبي:

أ- النبوة في اللغة: مأخوذة من النبأ، أي الخبر. قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (النبأ: 1)

أو من النبوة وهي مرتفعة من الأرض، يقال نبأ الشيء إذا ارتفع.

ب- في الإصطلاح: اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه. فالنبي عبد اصطفاه الله بالوحي إليه.

أما الرسالة في اللغة فهي التوجيه بأمر ما، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أو يقوم بما أمره به مرسله.

وفي الإصطلاح الشرعي: تكليف الله نبيا من أنبيائه بتبليغ شريعته للناس. فالرسول هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه[1].

1- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الاسلامية وأسسها**، ط15، دار القلم، دمشق، 2010، ص ص 266- 267.

المحاضرة 02: تاريخ القرآن

أولا: كيفية تلقي الوحي

لقد أصلت السنة النبوية الصحيحة هيئات الوحي جبريل -عليه السلام- بالقرآن على الرسول ﷺ.

روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها- قالت: " إن الحارث بن هشام -رضي الله عنه- سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس –وهو أشده علي- فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"[1].

ولقد أورد علماء القرآن الروايات التي تثبت موضوع تلقي الوحي، والتي تنص على أن وحي الله تعالى لرسوله كان على ثلاث هيئات وهي :

1- الهيئة الأولى: صلصلة الجرس (دوي هائل) فإذا سمع الرسول هذه الصلاصل سكت وأدرك أنه الوحي ... وكان الصحابة الذين يجالسونه يسمعون دويا كدوي النحل، لكنهم لا يفهمون من أمر ذلك الدوي شيئا.

وهذه الهيئة كان يتمثل بها الوحي جبريل عليه السلام عند نزوله بالقرآن على الرسول ﷺ، وبهذه الطريقة نزل القرآن كله، وهذه الحالة أشدها على الرسول ﷺ، وهي تصاحبها الشدة، والعنت، والتفصد بالعرق، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي".

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها- قالت: " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا"[2].

ومعنى الصلصلة عند (الخطاب) صوت متدارك يسمعه، ولا يتشبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد[3].

وقال السيوطي يصف الصلصلة: "وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك، والحكمة في تقدمه أن يفرغ

1- البخاري، **صحيح البخاري**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2002، (رقم الحديث02).

2 - ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط1، المطبعة السلفية، القاهرة، 2015، ص26.

3- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1،مؤسسة الرسالة، 2010، بيروت، ص 44.

سمع للوحي، فلا يبقى فيه مكانا لغيره"[1].

وتثير الصلصلة في نفس الرسول ﷺ اليقضة والانتباه حتى يعي بكل قواه الإدراكية ما سيلقيه عليه الملك جبريل عليه السلام من قرآن. وتؤصل الآيات القرآنية شدة هذه الحالة من الوحي. قال تعالى﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: 05).

***حديث بدء الوحي:**

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: "إقرأ"، قَالَ " مَا أَنَا بِقَارِئٍ ". قَالَ " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:" اقْرَأْ". قُلْتُ :"مَا أَنَا بِقَارِئٍ". فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:" اقْرَأْ". فَقُلْتُ :"مَا أَنَا بِقَارِئٍ". فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾. "فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رضى الله عنها- فَقَالَ " زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ". فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ " لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ". فَقَالَتْ خَدِيجَةُ :"كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ". فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ (وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى) ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ . وَكَانَ إمرءا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ . فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى

1- نفس المرجع، ص 44.

ﷺ يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ". قَالَ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَتْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْىُ[1].

وحالة صلصلة الجرس، وباتفاق العلماء هي الحالة الوحيدة التي نزل بها القرآن الكريم كله، حيث لم ينزل بحالة أو هيئة أخرى[2].

2- الهيئة الثانية: التمثل بالبشر:

مصداقا لقوله ﷺ: " وأحيانا يتمثل لي المَلَك رجلا، فيكلمني، فأعي ما يقول".

وهذه الحالة أخف هيئات الوحي، حيث يحصل التأنس له عندما يقابل جبريل -عليه السلام- على هيئة بشر، ويراه، ويحادثه كإنسان مثله، مصداقا لقوله ﷺ: " وهو أهونه عليّ ". ولكن لا يعني هذا أن جبريل -عليه السلام- كان يتخلى عن روحانيته.

وتذكر الروايات الصحيحة أن جبريل –عليه السلام- كان يتمثل أحيانا ببشر معروف من الصحابة، مثل الصحابي (دحية الكلبي)، وأحيانا يتمثل ببشر غير معروف، كما ورد في حديث عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: "يا محمد أخبرني عن الإسلام "، فقال له: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، قال: "صدقت "، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: " أخبرني عن الإيمان " قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: " صدقت "، قال: " فأخبرني عن الإحسان "، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: " فأخبرني عن الساعة "، قال:(ما المسؤول بأعلم من السائل)، قال: " فأخبرني عن أماراتها "، قال: (أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان) ثم انطلق فلبث مليا، ثم قال: (يا عمر، أتدري من السائل؟)، قلت: " الله

1- الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، دار ابن كثير،دمشق، 2017 ، رقم8.
2- غازي عناية، المرجع السابق، ص62.

ورسوله أعلم "، قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) [1]. ويتفق العلماء أنه لم ينزل قرآن قط بهذه الهيئة.

3- الهيئة الثالثة: الهيئة الحقيقية لجبريل –عليه السلام- :

بمعنى بروز جبريل في صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها : ومن تلك الصور مجيء جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية أي في صورة ملك كريم له أجنحة. لكن لم يحدث هذا غير مرتين على مدى ثلاث وعشرين عاما، وهي الفترة التي استغرقها نزول الوحي؛ الأولى عندما طلب النبي ﷺ من جبريل-عليه السلام- أن يظهر له في صورته الحقيقية، فبرز له بعدما أذن الله له بذلك، والمرة الثانية ليلة المعراج، عندما عرج برسول الله ﷺ من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى... وكان جبريل في صورته الملكية الحقيقية هو دليل تلك الرحلة العلوية المباركة، مصداقا لقوله ﷺ: في حديث جابر بن عبد الله، عن أبي سلمة بن عبد الرحمان قال: " سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر ، قلت: أو إقرأ باسم ربك، قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ قال: إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري نزلت، فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو (يعني جبريل)، فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني[2]، فأنزل الله: ﴿يا أيّها المدّثّر. قم فأنذر﴾ (المدثر: 1-2)

فقوله ﷺ: " فإذا هو " يعني أنه عرفه، وأنه الملك الذي جاءه لأول مرة في غار حراء، وأنزل عليه أول النزول القرآني، وهو الخمس الآيات الأولى من سورة العلق. وفي رواية أخرى أن الرسول ﷺ رأى جبريل –عليه السلام- على هيئته الحقيقية أي سورة ملك كريم له أجنحة، يملأ الأفق مابين السماء والأرض، فأخذت الرسول الهيبة، والرجفة، وفي الرواية أنه كان يجلس على كرسي يملأ الأفق مابين السماء والأرض [3].

ومن الثابت عند العلماء أن الرسول ﷺ رأى جبريل مرتين على هيئته الحقيقية، رآه مرة عندما نزل من غار حراء، كما في حديث جابر، ورآه مرة أخرى ليلة الإسراء والمعراج، عندما عرج برسول الله

1- الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، ط1، دار طيبة، 2006، القاهرة، 299/1.
2+ البخاري صحيح البخاري، مرجع سابق، الرقم 4924.
3- البخاري، مرجع سابق، رقم 4925.

ﷺ من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى... وكان جبريل في صورته الملكية الحقيقية هو دليل تلك الرحلة العلوية المباركة، وبهذه الهيئة لم ينزل القرآن قط.

وباتفاق العلماء لم ينزل قرآن في الهيئة الثانية، أو الثالثة[1].

أما تصورنا نحن البشر لهذا الوحي فإنه متعذر لأنه حالة فوق إدراك الحواس، وفوق مستوى العقل، فهو اتصال من الله العلي القدير بمن على استعداد فطري خاص، جسمي وروحي وفكري، لتلقيه... إن حقيقة الوحي ثابتة في النصوص القطعية والأحاديث الصحيحة وفيما جرى للأنبياء السابقين .. فلا غرو أن يكون حقيقة علمية يطمئن إليها أيّ عقل سليم.

ثانيا: كيف نزل القرآن؟

النزول في اللغة[2] الحلول، نقول نزل فلان بالمدينة أي حل بها؛ والنزول كذلك : الانحدار، نقول : نزل من علوّ إلى سفل، وجاء في القرآن : ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (الرعد : 17) والمعنيان يقتضيان الجسمية والمكانية، ولا مجال لتحققهما بالنسبة لكلامه تعالى، وعلى هذا يكون المراد بنزول القرآن معناه المجازي، لأن المراد به الإعلام والإخبار به، وإنما اختيرت مادة النزول من أجل التنويه بشرف هذا الكتاب الجليل، نظرا لما توحيه هذه المادة من علوّ صاحب هذا الكتاب علواّ كبيرا.

يؤصل العلماء أن للقرآن الكريم تنزلان[3]:

التنزيل الأول: جملة واحدة من عند الله، أو من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر في شهر رمضان، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج : 21-22) واللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي ذكره تعالى في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ.فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الواقعة : 77-78-79)أي أن القرآن محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل ... وأن كلّ ما قضاه الله تعالى هو في هذا اللوح الذي لا يدرك البشر طبيعته لأنه من أمر الغيب الذي تفرد الله العلي القدير بعلمه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر : 1) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ (الدخان : 3)

وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة : 185) وقوله

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص 64.

2- إسماعيل إبراهيم، **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968، ص227.

3- محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، ط3، مكتبة رحاب، الجزائر، 1986، ص 29.

كذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ **(الكهف: 1) ومحل الشاهد هنا في كون القرآن أنزل جملة واحدة هي لفظة أنزلناه التي تدل على العموم.**

أما من السنة المشرفة: فعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: " أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في أكثر من عشرين سنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ **(الفرقان: 33).**

وقد استدل العلماء من هذه الآيات على نزول القرآن جملة، وذلك من اللفظ (أنزل) حيث يفيد العموم، في حين يفيد اللفظ (نزل) التفرق.

ومن الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك:

عن أبن عباس –رضي الله عنه- قال : " أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوما (منجما أي مفرقا). أخرجه (الطبراني)[1].

وقال (القرطبي)في تفسيره[2] " ولا خلاف في أن القرآن أُنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ".

وقال العلامة(السيوطي) : "ولولا أن الحكمة الإلهية إقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله سبحانه باين (خالف) بينه وبينها، فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقا، تشريفا للمنزل عليه[3] .

❖حكمة إنزال القرآن جملة:

يورد الإمام(السيوطي) في كتابه "الإتقان" أقوال العلماء في حكمة نزول القرآن جملة وهي:

1- **تعظيم شأن القرآن.**

2- **تعظيم شأن المنزل عليه، وهو النبي** صلى الله عليه وسلم.

3- **إعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم.**

4- **تعظيم شأن الأمة المحمدية.**

1- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص 41.

2- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط1، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ص297.

3- السيوطي، مرجع سابق، ص 42.

5- تعظيم شأن بني آدم عند الملائكة[1].

التنزيل الثاني: من بيت العزة في السماء الدنيا منجما حسب الوقائع والأحداث أي مفرقا على قلب الرسول ﷺ في مدة ثلاث وعشرين سنة، وهي من حين بعثته إلى حين وفاته ﷺ.

ودليلهم من القرآن قوله تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (الإسراء: 106) وقوله كذلك: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: 32).

وقد استدل العلماء من هذه الآية على النزول المنجم من اللفظ نزل وهو يفيد التفرق في النزول لا الجملة.

أما دليلهم في السنة : فعن أبن عباس- رضي الله عن- قال : بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة عشرة سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة (رواه البخاري).

قال الإمام (الشعبي): إن المراد بنزول القرآن في ليلة القدر وفي ليلة مباركة وفي شهر رمضان هو ابتداء النزول على المصطفى ﷺ ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والأحداث قرابة ثلاث وعشرين سنة.

التنجيم : حقيقته .. الغاية منه

أولا: معنى التنجيم

أ – لغة : نجم الشيء ينجم بالضّمّ- نجوما : طلع وظهر ؛ وفي الحديث : هذا إبّان نجومه : أي وقت ظهوره؛ وكلّ ما طلع وظهر فقد نجم، وقد خصّ بالنجم منه (من النبات) ما لا يقوم على ساق ، كما خصّ القائم على ساق من النبات بالشجر ؟ قال (أبو إسحاق)في تفسير قوله تعالى﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمان :6): "جائز أن يكون النجم ها هنا ما نبت على وجه الأرض وما طلع من نجوم السماء ، ومعنى سجودهما : دوران الظلّ معهما.." كما أقسم الله تعالى بالنجم ، وجاء في التفسير أنه الثريا.. والنجم أيضا نزول القرآن نجما بعد نجم ، فكان تنزل منه الآية والآيتان . قال أهل اللغة : النجم بمعنى النجوم، والنجوم تجمع الكواكب كلها ، لكن النجم خصّ الثريا فصار علما[2] .

1-- المرجع نفسه، ص42.

2- ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج14، دار صادر بيروت، ط3، ص، 203، مادة: نجم.

هذا ونضيف : أن كلمة النجم. جمع : مفرده: نجمة ولها في العربية اشتقاقات واستعمالات و معان كثيرة مختلفة. ومن ذلك ما جاء في حديث سعد : والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة: فتنجيم الدّين : هو أن يقدر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة .

ب- إصطلاحا : هو تنزيل القرآن الكريم مفرقا على دفعات ومراحل .. كما يدل على ذلك الرد الجوابي على اليهود الوارد في قول الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ﴾، (أي كذلك أنزلناه مفرقا) ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: 32-33)

فان الله تعالى هنا لم يكذب اليهود فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة ، وأكد نزول كلامه في وحيه الخاتم منجما وفق مراحل ودفعات لحكمة قدرها سبحانه وتعالى في علمه المطلق.

ثانيا: الحكمة من نزول القرآن منجما

لقد باين الله من الله بين الكتب السماوية السابقة، وبين القرآن الكريم من حيث كيفية الإنزال. فقد أنزلها جملة واحدة، وأنزل القرآن منجما، مفرقا، لأسرارعديدة، وحكم جليلة، عرفها العالمون، وغفل عنها الجاهلون، ولا ريب أن منزله - جل شأنه و عظم في علاه- قدّر وراء ذلك مقاصد وحكم وغايات استنبط علماء القرآن ما يمكن استنباطه عقلا، ويمكن إجمالها فيما يلي[1]:

1- تثبيت فؤاد الرسول ﷺ **وتقويته قلبه:**

مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ االَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: 32). يعني لتقوية قلبك، فإنّ الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه.

وقد كان نزول الوحي متواصلا ملاذا للنبي ﷺ من كل ضيق ومواساة له وتقوية لعزيمته.

فلو أن القرآن نزل كله عليه جملة واحدة ، لكان لانقطاع الوحي عنه أثر كبير في استشعاره الوحشة والغربة .. وهذا المعنى هو ما أسماه القرآن بتثبت الفؤاد ...

2 - تسهيل الحفظ : فقد كان رسول الله ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ، فليس لديه من وسائل الضبط ما يحفظ به كلّ ما ينزل عليه سوى وسيلة التكرار والحفظ، فكان لابد من نزول الآيات بتدرج، وخلال فترات متقطعة من الزمن حتى يكون السبيل إلى حفظه ووعيه أيسر وأسهل ، وبالرغم من ذلك فإنه

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص 107 وما بعدها بتصرف.

ﷺ كان من عادته إذا نزلت عليه الآية أو الآيات أن يأخذ في تكرارها ويستعمل في محاولة حفظها و يظل يحك لسانه خشية أن تتفلت من حفظه ، إلى أن نزل عليه قوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة 16-19)

ثم طمأنه بعد الله ذلك بقوله : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾.(الأعلى 6) وهذه حكمة أخرى من نزول القرآن الكريم منجّما.

- 3 - التدرج في التشريع ومراعاة الأولويات في التربية والتعليم وانتزاع العقائد الفاسدة : احتوى القران الكريم على أصول التشريع والأحكام

سواء ما تعلق منها بالعبادات أو المعاملات المدنية ، أو الأحوال الشخصية، أو العقوبات أو النظم الدستورية والمالية، أو العلاقات الدولية ..

وكان العرب قبل الإسلام متفلتين من كل قيد ،لا يخضعون لقانون ولا يرتبطون بأي تنظيم ، فكان من العسير عليهم أن ينتقلوا من تلك الحالة في طفرة مفاجئة، إلى التقيد بعامة أحكام الإسلام ونظمه وقوانينه .

من أجل ذلك أخذهم القرآن في ذلك بالوسيلة التربوية التي لا بد منها ، وهي وسيلة التدرج في نقلهم من حياة الفوضى والتفلت إلى حياة النظام والتقيد بالمعايير التي لابد منها في المجتمع الصالح . فنزلت أولا الآيات المتعلقة بالعقيدة ودلائلها، حتى إذا آمن الناس وثابوا إلى عقيدة التوحيد ، نزلت آيات الحلال والحرام وعامة الأحكام والتكاليف والتشريعات في مهل وتدرج .

يروى الإمام (البخاري) في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها- قالت :" إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصّل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا . ولو نزل : لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا ... وهكذا.." لكن عندما استقرت العقيدة في النفوس كانت الاستجابة الطوعية للتكاليف و الأحكام.

يقول الشيخ (عبد العظيم الزرقاني) في كتابه "مناهل العرفان ": " نرى أن الإسلام قد مهّد بالعقائد ... فقد بدأ بفرضه للصلاة قبل الهجرة، وثنّى بالزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة، ثم ختم بالحج في السنة السادسة منها ، وقد كان الإسلام في انتهاج هذه الخطّة أبعد نظرا،وأهدى سبيلا وأنجح تشريعا "[1] .

1- الزرقاني ،**مناهل العرفان في علوم القرآن**، جـ 1، دار السلام، القاهرة، 2015، ص50.

❖ الإستفادة من نزول القرآن منجما في التربية والتعليم[1]:

تعتمد العملية التعليمية على أمرين أساسيين: مراعاة المستوى الذهني للطلاب،

وتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية بما يوجهها وجهة سديدة إلى الخير والرشاد.

ونحن نلحظ في حكمة نزول القرآن منجما ما يفيدنا في مراعاة هذين الأمرين ، فإن نزول القرآن الكريم تدرج في تربية الأمة الإسلامية تدرجا فطريا لإصلاح النفس البشرية ، واستقامة سلوكها، وبناء شخصيتها، وتكامل كيانها، حتى استوت على سوقها، وأتت أكلها الطيب بإذن ربها لخير الإنسانية كافة.

وكان تنجيم القرآن خير عون لها على حفظه وفهمه ومدارسته وتدبر معانيه، والعمل بما فيه.

وبين نزول القرآن في مطلع الوحي بالقراءة والتعليم بأداة الكتابة هو: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ **(العلق: 1-5)**

ونزول آيات الربا والمواريث في نظام المال، أو نزول آيات القتال في المفاصلة التامة بين الإسلام والشرك ، بين ذاك وهذا مراحل تربوية كثيرة لها أساليبها التي تلائم مستوى المجتمع الإسلامي في تدرجه من الضعف إلى القوة ، ومن القوة إلى شدة البأس.

والمنهج الدراسي الذي لا يراعى فيه المستوى الذهني للطلاب في كل مرحلة من مراحل التعليم وبناء جزئيات العلوم على كلياتها والانتقال من الإجمال إلى التفصيل، أو لا يراعي تنمية جوانب الشخصية العقلية والنفسية والجسمية منهج فاشل لا تجني منه الأمة ثمرة علمية سوى الجمود والتخلف .

والمدرس الذي لا يعطى طلابه القدر المناسب من المادة العلمية فيثقل كاهلهم ويحملهم ما لا يطيقون حفظا، أو فهما أو يحدثهم بما لا يدركون، أو لا يراعي حالهم في علاج ما يعرض لهم من شذوذ خلُقي، أو يفشو من عادات سيئة، فيقسو ويتعسف، ويأخذ الأمر دون أناة وروية، وتدرج وحكمة ، المدرس الذي يفعل ذلك مدرس فاشل كذلك، يحوّل العملية التعليمية إلى متاهات موحشة، ويجعل غرف الدراسة قاعات منفرة .

وقس على هذا الكتاب المدرسي، فالكتاب الذي لا تنتظم موضوعاته وفصوله، ولا تتدرج معلوماته من السهل إلى الصعب، ولا تترتب جزئياته ترتيبا محكما منسقا، ولا يكون أسلوبه واضحا في أداء المعنى المقصود، كتاب ينفر الطالب من قراءته، ويحرمه من الاستفادة منه.

والهدى الإلهي في حكمة نزول القرآن منجما هو الأسوة الحسنة في صياغة مناهج التعليم، والأخذ بأمثل الطرق في الأساليب التربوية بقاعة الدرس، وتأليف الكتاب المدرسي.

1- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط7، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995، ص112.

4- مسايرة الوقائع والحوادث: هذه الحكمة تمثل واقعية هذا الدين.. فقد كان القرآن يمس واقع الحياة بأحداثها، ويحدث فيها تغيرا حيا يرتبط بحياتهم الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، بل جعل بعض الآيات تنزل مرتبطة ببعض أسباب النزول، حتى يأخذ من الأحداث والوقائع التي تمر بهم دروسا قوية مؤثرة في حياتهم.

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون معظم الأحكام في كتابه الخاتم جوابا على أسئلته أو حلا لمشكلات واقعة بالفعل، كي تكون أوقع في النفس وألصق بالحياة، وتلك وسيلة تربوية ظاهرة لا تحتاج إلى مزيد بيان ، وإنما سبيل ذلك أن تتدرج هذه الأحكام وآياتها في النزول تنتظر منا سباتها وظروفها.. ولذلك نجد أن الكثير من آي القرآن إنما نزل جوابا على سؤال أو حلا لإشكال[1].. ومن ذللك مثلا : قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ (البقرة: 222).

وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ (البقرة : 220) وقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (الأنفال: 1)

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾(البقرة: 221)

فهذا من النوع الذي نزل حل لمشكلة قائمة نفهم من ذلك أنه كان كلما جدّ جديد، وهو عند الله مكتوب محسوب مقدر .. نزل من القرآن ما يناسبه ، والحوادث التي عاشها المسلمون عديدة ومتنوعه فترة نزول القرآن، فكانت الآيات أجوبة تفصيلية مقنعة ، تصحح مسار المسلمين وترشدهم.

5- مراعاة النسخ: اقتضى التدرج بالناس في التشريع أن يكون ثمة ناسخ و منسوخ، إذ رب حكيم كانت المصلحة والرحمة بالناس تقتضي أخذهم به على مراحل، كتحريم الخمر مثلا، فقد اكتفى القرآن في أول الأمر ببيان أن أضراره أكثر من فائدته، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة: 219)

حتى إذا استقر في النفوس ذلك، نزلت آية جديدة تنهي الناس عن السكر في أوقات الصلاة، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء 43)

وهو كما نرى تحريم جزئي في فترات متقطعة من الزمن ، فلما أخذ الناس أنفسهم بذلك واعتادوا الامتناع عن الخمر في تلك الاوقات التي ورد فيها النهي .. نزلت آية جديدة قاطعة تحرمه تحريما كليا

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص121.

جازما.. وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ **(المائدة :90-91)**

ولا ريب أن كل مرحلة من هذه المراحل السابقه إ نما هي نسخ لما قبلها، وتصعيد إلى طور جديد نحو تكامل التشريع واستقراره... وهذا لا يتم إلاّ بنزول القرآن منجما[1].

6- إثبات المصدرية الإلهية للقرآن : فقد كان القرآن ينزل متفرقا فيقول النبي ﷺ ضعوا هذه الآية في الموضع كذا، وتلك في موضع كذا[2]،إذ كانت تنزل العشر الآيات دفعة واحدة أو جزء من آية فقط... والقارئ عندما يقرأ القرآن يجده -بعد أن اكتمل- محكم السرد، مترابطا منظما... وهذا لا يستوي لإنسان، لا تأليفا ولا معنى ولا لفظا... إنه كلام الله تعالى، وهذا دليل قاطع على إعجازه وأنه من عند الله...

ومثال ذلك سورة المزمل، وهي سورة مكية باستثناء الآية الأخيرة منها فهي مدنية، ومع طول الفاصل الزمني، واختلاف طبيعة القرآن المكي والمدني – مثل الطول والقصر – فإن المعنى الذي عرضت له هذه الآية متصل بصدر السورة، ومنسجمة مع معمارها العام. ومطلعها : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾ **(المزمل: 20) فقد نزل القرآن منجما ولكن في ترابط معجز، وتفرقت أسباب آياته، ولكنه ألف بينها، فكان متكامل النسج محكما.**

هذه هي أهم الحكم من نزول القرآن منجما باختصار وتركيز والله أعلم[3].

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص 145.

2- الامام أحمد، مسند، **الامام أحمد**، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2009، ص69.

3- غازي عناية، مرجع سابق، ص 146.

المحاضرة 03 : جمع القرآن الكريم

أولا: معنى الجمع

جمع القرآن عند إطلاقه كمصطلح له معنيان هما[1]:

أولا: يراد منه حفظه واستظهاره في الصدور، فهو جمع في القلوب والصدور.

ثانيا : الجمع بمعنى الكتابة، فجمع القرآن على هذا المعني كتابته كله حروفا و كلمات و آيات و سورا، وهو جمع في الصحائف والسطور.

النوع الأول : جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: 16-19).

يستقرأ من هذه الآيات شدة شغف الرسول ﷺ بحفظ القرآن الكريم ، واستظهاره في صدره ، وقلبه ، وبلسانه ؛ استعجالا لحفظه ، وجمعه ؛ مخافة أن ينفلت منه حرف ، أو كلمة حتى طمأنته العناية الإلهية بتمكينه من حفظه في صدره ، واستظهاره بلسانه .

وقد أشارت الآيات الكريمة السابقة إلى معنى الجمع بالحفظ، والاستظهار في الصدر ، والقلب مصداق قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة الآية 17) أي حفظه في صدر الرسول ﷺ ، وتلاوته بلسانه .

وأشارت الآية كذلك إلى الجمع بمعنى الحفظ بعدم التعجل ، والتسرع في التلاوة باللسان مصداق قوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (القيامة : 16).

أخرج البخاري ، ومسلم ، وغيرهما عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ؛ فكان يحرك به لسانه ، وشفتيه ؛ مخافة أن ينفلت منه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال : يقول : إنا علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرأه﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول : إذا أنزلناه عليك . ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، فاستمع له ، وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي نبيّنه بلسانك . وفي لفظ : علينا أن نقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل،

1- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن** ، مرجع سابق، ص114.

أطرق . وفي لفظ : استمع ، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله[1].

فالنبي ﷺ أول من جمع القرآن الكريم في صدره ، وفق العناية الإلهية الخاصة من خلال الملك جبريل –عليه السلام- الذي كان يعارضه القرآن الكريم كل سنة مرة، وعارضه إياه في العام الأخير مرتين.

ولقد أحاطت العناية الإلهية الرسول ﷺ بتمكينه حفظ القرآن الكريم حتى أصبح سيد الحفاظ.

عن عائشة، وفاطمة رضي الله عنهما قالتا: " سمعنا رسول الله ﷺ يقول : إن جبريل كان يعارضني القرآن في كلّ سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي". رواه البخاري .وكما كان الرسول ﷺ يقرأ على جبريل عليه السلام، فقد كان يقرأه على صحابته.

- قول النبي ﷺ: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي" رواه البخاري[2].

وكان رسول الله ﷺ كان أول من حفظ القرآن في صدره. ثم الصحابة رضوان الله عليهم ،وقد حفظه كاملا جمع كبير من الصحابة يحصل بهم التواتر.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يجمعون القرآن أي يحفظونه من الرسول ﷺ . وكان الرسول ﷺ يحفظ أصحابه القرآن بجميع معاني الحفظ . فكان يحفظهم القرآن حفظ تلاوة، واستظهار ، وتزكية ، وتعليم.

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة :2) .

فمن المهاجرين : حفظه الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس ، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن الزبير ، وعائشة وحفصة، وأم سلمة، وعبد الله ابن السائب رضي الله عنهم جميعا.

1- البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، رقم الحديث (05).

2- صحيح البخاري ، مرجع سابق، رقم (3623).

ومن الأنصار: حفظه عبادة بن الصامت وأبي بن كعب, ومعاذ بن جبل, وزيد بن ثابت, وفضالة بن عباد الله , وأبو الدرداء, وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

ثم جاء التابعون فتلقى خلق كبير منهم القرآن عن هؤلاء الصحابة فحفظوه في صدورهم، وحفظه عنهم أتباع.

❖ **خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:**

1 - هو أول علم نشأ من علوم القرآن وابتدأ منذ نزول أول آياته في غار حراء.

2 - استمراره منذ عهد الرسول ﷺ والصحابة والتابعين إلى زمننا الحاضر وإلى أن يرفع الله القرآن من الأرض قبيل قيام الساعة .

3 - انفرد القرآن بكونه الكتاب الوحيد الذي يحفظه أهله في صدورهم، فلا يوجد في الأرض كتاب ديني؛ كالتوراة والإنجيل، أو دنيوي ككتب الطب والهندسة وغيرها يحفظها أصحابها كاملة في صدورهم.

4- وجوب حفظ ما تؤدى به الصلوات من القرآن على كل مسلم ومسلمة.

وأقل ذلك حفظ سورة الفاتحة التي هي ركن في كل صلاة بل في كل ركعة وتتكرر وجوبا في كل يوم سبع عشرة مرة ،وفي السنة أكثر من ستة آلاف مرة لأهمية المعاني التي تضمنتها، فحفظها واجب لازم لكل مسلم ومسلمة.

النوع الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه

قد مر جمع القرآن في السطور بثلاث مراحل مهمة في تاريخه وهي:

المرحلة الأولى: في عهد النبي ﷺ .

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر الصديق –رضي الله عنه-

المرحلة الثالثة: في عهد عثمان –رضي الله عنه-

المرحلة الأولى : جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد النبي ﷺ:

1 - منهج الكتابة:

لقد كان جمع القرآن بمعنى الكتابة مقارنا لجمعه بمعنى الحفظ على عهد الرسول ﷺ ، فقد كان الصحابة – رضي الله عنهم- يكتبون القرآن ، ويدونونه كما كانوا يحفظونه . وكان ﷺ يطلب منهم ذلك . ويرشدهم إلى مكان الآيات في السور . ولم يأذن الرسول ﷺ للصحابة أن يكتبوا غير القرآن ؛ مخافة أن يلتبس بغيره ، أو ينشغلوا دونه .

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ، ولاحرج ، ومن كذب علي متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار» .

وقد اتخذ النبي ﷺ كتابا للوحي يكتبون له القرآن الكريم عرفوا بكتبة الوحي، وبلغ عددهم حوالي الأربعين ، ومنهم : الخلفاء الأربعة : أبي بن كعب ، زيد بن ثابت ، خالد بن الوليد ، ثابت بن قيس، ابان بن سعيد ، الزبير بن العوام ، عمرو بن العاص ، العلاء الحضرمي ، عبد الله الحضرمي ، محمد بن مسلمة ، المغيرة بن شعبة ، عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، يزيد بن أبي سفيان ، ومعاوية بن أبي سفيان[1].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . رواه الحاكم.

2- وسائل الكتابة: لم تكن وسائل الكتابة ميزة في عهد النبي ﷺ، بل كانوا يكتبون على وسائل بدائية توفرت لديهم على حسب الحال، والتي منها:

العسب - جمع عسيب ، وهو جريد النخل . وكانوا يقشطون الخوص ، ويكتبون على الطرف العريض .

الكرانيف – جمع كرنافة ، وهي الأصول العريضة للعسب ، يخرجون حشوها ، ويدبغون الجزء العريض منها ، ويكتبون عليها .

اللخاف – جمع لخفة ، وهي صفائح الحجارة الرقيقة ، حيث كانت نقش ، وتسوى للكتابة عليها .

الأقتاب – جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ، ليركب ، أو يحمل عليه .

الأكتاف – جم كيف ، وهو عظم الشاة ، أو البعير بعد أن يجف ، ويدبغ .

الرقاع – جمع رقعة ، وهو من الجلد ، أو الكاغد ، والكاغد نوع من الجلد المدبوغ.

الأديم – جمع أدمة ، وهو الجلد .

3- مميزات هذا الجمع:

❖ كتابة القرآن على سبعة أحرف نزل عليها القرآن وقد قال ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه" متفق عليه.

❖ ترتيب الآيات بأمر من رسول الله، ﷺ ، وفي ترتيب السور خلاف، والصحيح أنه كذلك من رسول الله ﷺ.

1- نور الدين عتر، **علوم القرآن الكريم** ، مطبعة الصباح، دمشق، 1993، ص 169.

❖ لم يجمع القرآن في مكان واحد، أو مصحف واحد، أو غرفة واحدة بل كان مقرقا ،لكنه كان مكتوبا على الجلود واللحاف والعسب ونحوها. يقول زيد بن ثابت -رضي الله عنه -: "توفي النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء". رواه البخاري.

❖ بقاء شيء مما نسخت ثلاثة مكتوبا عند بعض الصحابة مثل: "خمس رضاعات معلومات حرمن توفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن". رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.أنها قالت: « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن » ثم نسخن « بخمس معلومات » فتوفي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن »

❖ أجمع العلماء على أنه مرتب الآيات، واختلفوا في ترتيب السور .

❖ لم يكن القرآن الكريم قد جمع في مصحف واحد ، وإنما كان مكتوبا مفرقا، ولهذا قال زيد بن ثابت عن الجمع الذي تم في عهد أبي بكر الصديق : "فتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف , وصدور الرجال".

4- الحكمة من عدم تدوين القرآن في مصحف واحد على عهد النبي ﷺ .

تتجلى هذه الحكمة ضمن أمور عديدة منها :

الأمر الأول: لاستمرار النزول القرآني، وبشكل منجم ، وطيلة مدة ثلاث وعشرين سنة تقريبا؛ مما اقتضى عدم تدوينه ؛ لأنه لم يكتمل نزوله ، وإلا لو جُمع في مصحف واحد لكان معنى ذلك أنه أصبح نهائيا ، ولا يجوز أن يخضع للتغيير ، والتبديل ؛ فلو جمع في كتاب واحد مع استمرار نزول الآيات القرآنية لأدّى ذلك إلى تعرضه للتبديل ، والتأخير . وكما قال الامام الزركشي في البرهان : إنما لم يكتب في عهد النبي ﷺ مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت»[1] .

الأمر الثاني: لعدم اقتضاء الضرورة لذلك . حيث لم تتحقق الدوافع للكتابة ، ولم تأت الأسباب الدافعة لتدوين الآيات في مصحف واحد، وفي كتاب واحد كما حصل على عهد الخليفتين أبي بكر ، وعثمان بن عفان حيث تحققت الأسباب لتدوينه :كالخشية من ضياعه بموت الحفاظ ، و لتوحيد أوجه قراءة الناس له دون اختلاف .

الأمر الثالث: لوقوع بالنسخ في القرآن . حيث أن التوقع النبوي كان حاصلا أثناء عهد النزول القرآني ، وأن هناك ناسخ قد ينزل فينسخ ما قبله .

وكما قال الامام السيوطي في الاتقان» أن الخطابي قال : «إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه، أو تلاوته؛ فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء

1- السيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**، ،مرجع سابق، ج1، ص 57.

الراشدين ذلك ؛ وفاء بعهده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمّة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر»[1].

الأمر الرابع: لأن ترتيب آياته ، وسوره لم يكن حسب ترتيب نزوله : وانما باشارة من الرسول ﷺ؛ فأحيانا كان يأمر بكتابة آيات في سورها نزلت متأخرة قبل أن يأمر بكتابة آيات سابقة في نزولها؛ مما حال دون كتابة القرآن في مصحف واحد حتى لا يتعرض للتغيير مرارا؛ والقرآن الكريم كتاب سماوي توقيفي من الله تعالى في ترتيب آياته، وسوره، وإن لم يكن الترتيب حسب النزول فإن مثل هذا الكتاب لا يجوز أن يكون عرضة لأي تغيير ، أو تبديل وهو القرآن بترتيب آياته، وسوره في الدنيا هو نفسه بترتيب آياته، وسوره عند الله تعالى في اللوح المحفوظ .

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

1- سببه: الخشية من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفظته الذين كثر القتل فيهم يوم اليمامة سنة 12هـ. فقد استحر القتل بالقراء في حروب الردة حيث قتل في يوم اليمامة كثير من حفاظ القرآن[2].

ومن هنا يظهر أن من أسباب الجمع الذي تم في عهد أبي بكر الصديق له كان هو :

أولا: الخوف من ذهاب شيء من القرآن الكريم بموت حملته.

ثانيا : أنهم كانوا يريدون جمعا للقرآن الكريم؛ يتم بحضور جمهور الصحابة، و ينعقد الإجماع عليه على أنه هو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم دون زيادة أو نقصان.

2- المكلف بالجمع ومميزاته:

وقد قام هذا الجمع الذي اعتمد فيه على المكتوب والمحفوظ على ثلاثة أسس ثابتة، تدل على متانته، ودقته، وهي:

❖ لا يأخذون شيئا من المحفوظ في الصدور؛ إلا إذا تلقاه الصحابي من فم النبي-ﷺ مباشرة، دون واسطة.

❖ لا يعتمدون على شيء من المكتوب من القرآن الكريم؛ إلا إذا كان قد كتب بين يدي النبي ﷺ، ولذلك قال عمر بن الخطاب للصحابة رضي الله عنهم:" من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن فليأت به ".وقال زيد: "فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب، واللخاف، وصدور الرجال".

❖لابد لمن تلقى شيئا كتابة، أو حفظا من رسول الله ﷺ أن يشهد له شاهدان، كما قال أبو بكر لزيد وعمر رضي الله عنهم: "أقعدا على باب المسجد، فمن جاء ما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه".

1- الإمام الزركشي، **البرهان**، مرجع سابق، ج1، ص 259 .

2- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص 123.

وقد كلف أبو بكر زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما وقال له: "إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه"[1]. وبالتالي فميزاته:

- الحفظ للقرآن،
- شهود العرضة الأخير كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي أن زيدا قرأ عن رسول الله ﷺ مرتين عام وفاته وشهد العرضة الأخيرة .
- أنه من كتاب الوحي.
- قوته وجلده وشبابه.
- قوة عقله ورجاحته، وقليلا ما تجتمع هذه الميزة مع التي قبلها وهي الشباب.
- أمانته وشعوره بالمسؤولية , ومما يدل على ذلك قول زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل عن مكانه؛ لكان أهون على من ذلك،

3- منهج الجمع: حدده أبو بكر بقوله لزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فأكتباه".

ومع حفظ زيد للقرآن كله وكتابته للوحي من رسول الله ﷺ لم يعتمد على حفظه ولا كتابته؛ بل كان يطلب التوثيق والتثبت أكثر.

قال زيد: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، ولذا فأسس الجمع هي:

ما كتب بين يدي الرسول ﷺ بشاهدين، وما كان محفوظا في صدور الصحابة بشرط تلقيه مباشرة من الرسول ﷺ، ولذا كان عمر رضي الله عنه يقول: من كان تلقي من رسول الله شيئا من القرآن فليأتنا به ،أي من تلقي مباشرة من فم النبي ﷺ ، وإلا فالصحابة ومنهم: زيد وعمر كانوا يحفظون القرآن في صدورهم.

4- مميزات هذا الجمع:

- استخدام أدق وجوه التحري والإتقان.
- إهمال ما نسخت تلاوته.
- كان الجمع على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

1- طاهر الجزائري، **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان**، تح أبو غدة، مطبعة المنار ، مصر، ط1، 1331هـ، ص 99.

❖ كان الجمع مرتب الآيات بالاتفاق، واختلف في ترتيب السور.

❖ كتابة مصحف واحد فقط كان عند أبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه الإمام، ثم انتقل إلى عمر بعده ثم أصبح عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما حتى طلبة عثمان بن عفان رضي الله عنه عند جمعه القرآن في خلافته.

❖ إجماع الصحابة عليه وتقديرهم له وتلقيهم هذا العمل بالقبول.

❖ ظفر هذا الجمع بإجماع الأمة عليه لأنه قام على أدق المعايير في التثبت والتوثيق.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

1- سببه: الخوف من اختلاف الأمة بسبب أن كل معلم يقرأ للناس على حرف من الحروف السبعة فيقع بينهم الخلاف، حتى قال بعضهم لبعض: قراءة تلك ليست بشيء وقراءتي أصح من قراءتك, بل وحتى كفر بعض الجهلة من لم يقرأ بمثل قراءتهم، ولا سيما مع كثرة الداخلين في الإعلام من غير أبناء الصحابة بل ومن غير العرب بالكلية، فأتى حذيفة بن اليمان عثمان بن عفان رضي الله عنهما قال: "أدرك أمة محمد ﷺ قبل أن يختلفوا، كما اختلفت اليهود والنصارى؛ فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالمصحف " وكان عثمان قد جمع الصحابة فعرض عليهم هذه المشكلة ثم قال: اجتمعوا يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاكتبوا للناس إماما، وكان ذلك في أواخر سنة 24هـ، وبداية سنة 25هـ

2- اللجنة المختارة: اختار عثمان رضي الله عنه لهذه المهمة: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[1].

3- منهج الجمع: بعد اتفاق الصحابة على الجمع؛ أمر عثمان اللجنة بكتابة مصاحف من مصحف حفصة رضي الله عنها، وإذا اختلفت اللجنة مع زيد وهو أنصاري وهم قرشيون، كتبوا بلسان قريش فهو أفصح ألسنة العرب وهو لسان النبي ﷺ ، وإنما كانت بقية الأحرف السبعة للتيسير والتسهيل، وإذا تواتر في الآية أكثر من قراءة كتبت برسم واحد يحتمل القراءتين مثل: (فتبينوا)، (فتثبتوا) (لنشزها) (تنشرها)؛ لأن التنقيط لم يكن معروفا يومذاك، وإذا لم يمكن رسمها بشكل واحد فتكتب في بعض المصاحف بقراءة، وفي نسخة أخرى بقراءة أخرى مثل: (ووصى بها إبراهيم)، (وأوصى بها إبراهيم) (سارعوا إلى مغفرة من ربكم) (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)، وبعد اكتمال النسخ بعث عثمان رضي الله عنه بنسخ منها إلى الأمصار ليعتمدوها وأمر بما سواها من المصاحف الخاصة لدى بعض الصحابة فجمعها لديه ثم أحرقها حتى لا تشكل على الناس.

1- طاهر الجزائري، مرجع سابق، ص 102.

وقد استحسن الصحابة ذلك الصنيع وتلقوه بالقبول .يقول علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: "والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل." وقال زيد بن ثابت –رضي الله عنه- : "فرأيت الصحابة يقولون: أحسن والله عثمان ولم يعارضه أحد على الجمع". وأما ما يروى عن اعتراض ابن مسعود رضي الله عنه على الجمع فليس بصحيح بل كان اعتراضه على حرمانه من شرف المشاركة في هذا العمل الجليل مع وجود أناس في اللجنة يراهم أقل منه علما بكتاب الله عزّ وجل، ويجاب عن ذلك ببعد مكان إقامة بن مسعود عن المدينة حيث كان يسكن العراق يومذاك وكان الأمر عاجلا يتطلب سرعة البت في الأمر، ثم إن المقصود عرض ما كتبه زيد في مصحف أبي بكر على لسان قريش، ولم يكن ابن مسعود الهذلي أخبر بلسان قريش من أعضاء تلك اللجنة، كما أن زيدا كان كاتبا للوحي باختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد العرضة الأخيرة، واختاره أبو بكر الكتابة المصحف في عهده، وكل تلك المميزات ليست لابن مسعود رضي الله عنه مع جلالة قدره وأخذه سبعين سورة من فم رسول الله ﷺ.

4 - مميزات هذا الجمع:

❖ الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة. وقد كان رسول الله ﷺ أطلق للناس القراءة بها ، بها رخصة مباحة وليست عزيمة واجبة، ولما رأى عثمان رضي الله عنه من المصلحة جمع المسلمين على حرف واحد فعله لتحول الرخصة إلى سبب في الاختلاف والفرقة وقد أجمع الصحابة على قبول هذا العمل.

❖ حذف ما لم يثبت من القراءات الشاذة أو التفسيرية التي كان يدونها بعض الصحابة على مصحفه كما في مصحف ابن مسعود: (فصيام ثلاثة أيام (متتابعات) (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة (صالحة) غصبا). فهذه زيادات تفسيرية يكتبها بعض الصحابة على مصاحفهم لبيان المعنى.

❖ اقتصاره على ما في الجمع الذي تم بأمر أبي بكر -رضي الله عنه -فاقتصر على ما ثبت في العرضة الأخيرة، وأهمل ما نسخت تلاوته.

❖ كتب بلغة قريش، ورسم برسم يحتمل لأوجه القراءات الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ .

❖ كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف في اليوم في المصاحف دون خلاف .

❖ نسخ القرآن في عدد من المصاحف .

❖ جمع بهدف حمل الناس على القراءة من هذا النسخ، و تحريق ما سواه من صحيفة .

5- الفرق بين الجمع الثاني في عهد أبي بكر، والثالث في عهد عثمان رضي الله عنهما:

❖ الاختلاف في السبب ففي جمع أبي بكر رضي الله عنه كان السبب الخشية من ذهاب شيء من القرآن، وفي عهد عثمان رضي الله عنه كان السبب كثرة الاختلاف في وجوه القراءات.

❖ جمْعُ أبي بكر رضي الله عنه على الأحرف السبعة، وجمع عثمان رضي الله عنه على حرف واحد فقط.

❖ جمع أبي بكر رضي الله عنه مرتب الآيات وفي السور خلاف، وجمع عثمان -رضي الله عنه- مرتب السور والآيات بالاتفاق.

❖ جمع أبي بكر رضي الله عنه بمعنى جمع ما في الرقاع والعُسُب في مصحف واحد، وجمع عثمان رضي الله عنه بمعنى نسخه في مصاحف متعددة.

❖ عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار:

قال الزركشي في البرهان: "قال أبو عمرو الداني في المقنع : أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ؛ وبعث إلى كل ناحية واحدا الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحدا عنده" وقد أرسل مع كل مصحف معلما ،فأبو عبد الرحمن السلمي مع نسخة الكوفة، وعامر بن عبد القيس مع نسخة البصرة، والمغيرة ابن أبي شعبية مع نسخة الشام، وأمسك عتاده المصحف الإمام الذي قُتل وهو يقرأ فيه.

وقيل: إنها خمس نسخ، قاله السيوطي. وقال: هو المشهور باضافة نسخة أرسلها إلى مكة. وقيل: بل سبع نسخ، قاله أبو حاتم السجستاني وزاد: مكة واليمن والبحرين على الأربع المشهورة : الكوفة والبصرة والشام والمدينة[1].

النوع الثالث: من أنواع جمع القرآن جمعه بمعنى تسجيله صوتيا

سببه الحاجة إلى تلقي القرآن عن شيخ متقن، وليس ذلك متاحا لكل أحد، ومع مجيء هذه الوسيلة الحديثة وهي التسجيل الصوتي تيسر تلقي القرآن بواسطة التسجيل وإعادة التلاوة مرارا؛ ولا سيما في البلدان التي يقل فيها القراء المجيدون مع ضعف الهمة عن حضور حلقات التلاوة ومجالس الإقراء.

وقد صارت هذه الأشرطة الصوتية المسجلة وعاء يُجمع فيه القرآن سواء أكان التسجيل الصوتي مصحوبا بالصورة كما هو الحال في أشرطة (الفيديو) أو كان بدونها الأقراص المدمجة CD، أو على أشرطة (الكاسيت) الصوتية .

ثانيا: ترتيب الآيات والسور

قد روى الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» أنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما- أنه قال : «كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة ، دعا بعض من يكتب ، فقال : «ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا ، وكذا»[2] .

وأخرج الحاكم في المستدرك» بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت أنه قال : «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع» .

1- الزركشي، **البرهان في علوم القران** ، مرجع سابق، ج1، ص240.

2- محمد الزرقاني، **مناهل العرفان**، مرجع سابق، ص 247 .

ويعني هذا أن ترتيب الآيات في السور ، وترتيب السور هو أمر توقيفي من الرسول ﷺ ؛ حيث ورد أن جبريل عليه السلام- كان يقول له : «ضعوا كذا في موضع كذا» .

فاتساق السور كاتساق الأيات كلها توقيفي من عند الله تعالى ، وبأمر من الرسول ﷺ ، وبارشاد من جبريل عليه السلام، وبكتابة من الصحابة رضوان الله عليهم..

ونفس المعنى يؤصله الإمام الزركشي في البرهان ، حيث يقول : « فأما الآيات في كل سورة ، ووضع البسملة أوائلها ، فترتيبها توقيفيّ بلا شك ، ولا خلاف فيه ، وهذا لا يجوز تعكسيها»[1].

والمراد بقول الزركشي : «لا يجوز تعكيسها : ضرورة التزام الترتيب التوقيفي بين الآيات ، بحيث لا يقدّم فيها ، ولا يؤخّر».

ويزيد هذا وضوحا قول الزركشي أيضا : «وفسّر بعضهم قوله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) : أي اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ، ولا تأخير . وجاء النكير على من قرأه معكوسا»[2].

وقد ذكر الإمام السيوطي في «الإتقان: ما يفيد معنى الترتيب التوقيفي للآيات بالإستشهاد بقول أبي جعفر بن الزبير في مناسباته : ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ ، وأمره من غير خلاف بين المسلمين»[3].

وقد ذكر السيوطي في الإتقان أيضا عن عثمان بن العاص قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ، ثم صوّبه ، ثم قال : «أتاني جبريل ، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل : 90).

1- الإمام الزركشي، **البرهان**، مرجع سابق، ج1، ص 256 .

2- الإمام الزركشي، **البرهان**، مرجع سابق، ج1، ص 259 .

3- السيوطي، **الإتقان**، مرجع سابق، ج1، ص 4..

المحاضرة 04 : مكونات النص القرآني

تتعدد الدراسات اللغوية المتصلة بكتاب الله المجيد و تتنوع جوانبها صوتا وصرفا و نحوا ودلالة. وقد بلغت بعض هذه الدراسات من العمق و الجدة والابتكار ما بلغت إليه، فاستطاعت أن تكشف الكثيرمن مكونات و أسرار هذا الكتاب العظيم سواء أكان على مستوى المفردة القرآنية أم على مستوى التركيب. والنص القرآني يتكون من نصوص لغوية كثيرة ومتنوعة، يطلق عليها اسم السور، والآيات. وقد لاحظ العلماء أنّ التعبير القرآني يختلف كل الاختلاف عن كلام العرب الراقي، وهو الشعر. فقد سمّى العرب أحسن كلامهم شعراً، وسمى الله تبارك وتعالى كلامه قرآناً، وسمّوا النص منه قصيداً، أو قصيدة، وسماه القرآن سورة، وسمّوا الجزء منه بيتاً، وسماه القرآن آية. وقالوا قافية القصيدة، وقال العلماء فاصلة الآية، أو رؤوس الآي[1].

ومكوّنات النص القرآني هي : اللفظة القرآنية، والآية والسورة والقصص القرآني.

أولا: - اللفظة القرآنية

تمتاز المفردة أو اللفظة أو الكلمة في السياق القرآني، بنوع من الخصوصية لا نجدها في كتابات الأدباء والباحثين. وقد وردت بتوزيع دقيق وبنسب محددة دالة على إعجاز باهر. ومن هذه المميزات ما يلي:

1- **الألفاظ المتواترة**: ونعني بها تلك الكلمات التي يعرفها كل من نطق باللغة العربية، ولا تتطلب أي مجهود لفهم معناها. وهي كثيرة ومكررة في النص القرآني، وبهذه الألفاظ نكوّن الجمل التي تحمل المعاني، والتي يفهمها السامع. ومن هذه الألفاظ ما يلي: بحر، سماء، أرض، جاء، رجع، أكل، شرب، رجل، إمرأة، شمس، قمر، طفل، قرية، مدينة، جبل، نهر، باع، اشترى... إلخ. وهذه الألفاظ نجدها في القرآن المكي والمدني على السواء.

غير أنّ التعبير القرآني قد استخدمها بطريقة عجيبة، حيث بعث فيها روحاً خاصة فصارت كأنها ليست هي التي كانت خارج السياق. فقد وظّف بعضا منها بصيغة المفرد فقط؛ مثل: كأس، سَمْعٌ، كرسيّ، عِجْل... وبعضه لم يرد إلاّ جمعاً مثل: أرائك، سرر، أباريق. وبعض الأفعال ورد منه الماضي فقط مثل الفعل "جاء"، وبعضه الآخر ورد منه المضارع والأمر فقط، مثل: يدَعُ، دعْ - يذَرُ، وذَرْ، ولم يذكر فعليهما الماضيين وهما: وَدَعَ، وَذَرَ. وغير ذلك من الظواهر اللغوية والأسلوبية.

2- **الألفاظ الغريبة**: هي تلك الألفاظ التي لا يعرفها كل الناس، إلاّ المثقفون مثل الشعراء والخطباء والحكماء. ومن هذه الألفاظ ما يلي: خُنّس، عسعس، الناقور، ضيزى، دُسُر، الودْق، وقب، غاسق، كُنّس، النفاثات.. إلخ. وهذه لا ترد بكثرة، بل معظمها ورد مرة واحدة فقط في كل القرآن؛ وهي دلالة على

1 - السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مرجع سابق،ص 53 .

تفرد القرآن في إيراده المعجم اللغوي، واختياره الكلمات المناسبة لكل مقام وسياق، وبالنسب التي تلائم الموضوع والمقصود. وهذا ما لا نجده في كتابات الأدباء باختلاف أصنافهم واتجاهاتهم.

3- **ألفاظ الأفراد**: هي الألفاظ التي وردت في النص القرآني أكثر من مرة، وجاءت بمعنى واحد في كل تلك المرات، إلاّ مرة واحدة فجاءت بمعنى مخالف. وقد أحصى (ابن فارس) ذلك في كتاب سماه: "أفراد كلمات القرآن العزيز"، وذكر أربعاً وثلاثين كلمة[1]. فقال على سبيل المثال:« كل ما في القرآن من ذكر البروج فإنها الكواكب؛ كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ .. إلاّ التي في سورة النساء: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ ، فإنها القصور الطِوال المرتفعة في السماء، الحصينة »[2]. وهكذا فعل مع كل الكلمات التي ذكرها على أنها من الأفراد.

4- **ألفاظ منفردة**: وردت في النص القرآني كلمات كثيرة مرة واحدة فقط، والغريب أنها وردت تقريبا في أماكن متباعدة، أو بعبارة أدق ورد في كل سورة لفظ جديد لم يذكر في سورة قبلها ولا بعدها. فمثلاً كلمة "غاسق" وردت مرة واحدة في سورة واحدة هي الفلق، ولم ترد قبلها في سورة الإخلاص، ولا بعدها في سورة الناس. وعدد هذه الكلمات هو (266 كلمة) . منها: تَعْساً، ضيزى، حُبُك، أبّ، سلسبيل، الكوثر، زنجبيل، غسلين، صوامع، بِيَع، هيت.. إلخ. وهذه الكلمات ليس بالضرورة أن تكون غريبة، بل قد تكون معروفة ومشهورة عند كل الناس؛ ككلمة "**قليلون**"[3] إذ لم ترد إلاّ مرة واحدة في سورة الشعراء ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (آية 54). وكذلك كلمة "**شرذمة**"، فلم ترد إلاّ في هذه الآية أيضاً.

ومنها أيضاً لفظ "الصلاة" التي تعني العبادة المعروفة من قراءة وركوع وسجود، حيث وقعت في القرآن إلا في آية واحدة هي قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ **(الحج:40)**؛ فالصلوات هنا هي أماكن العبادة، لا العبادة نفسها.

5- **فضاء المفردة القرآنية**: هذه ميزة خاصة بالتعبير القرآني، لا يشاركه فيها كاتب ولا أديب ولا شاعر؛ وهي تلك المفردات التي شحنها القرآن الكريم بطاقة خاصة، أما عند الكُتّاب فنجدها حيادية، لا

1 - أحمد بن فارس، **أفراد كلمات القرآن العزيز**، تح: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 9 ما بعدها.

2 - المرجع نفسه، ص 9.

3 - نوضح هنا أن القرآن الكريم قد استخدم لفظة "قليل" مرات كثيرة، ولكنه لم يستخدم صيغة جمع المذكر السالم إلا في هذه الآية.

تعني سوى معناها المعجمي، أو بعض المعاني المجازية الإيحائية. أما القرآن فوظّفها في دلالة خاصة لم يفطن لها الأدباء، أو لم يعيروها ذلك الاهتمام. ونمثل لها بالكلمات التالية:

- **مطر**، هذه اللفظة تأتي دوماً بدلالة العذاب، أو الأذى، سواء أكانت إسماً أم فعلاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (الشعراء: 173). وقوله عز من قائل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾ (النساء: 112). بينما وظّف في مجال الخير والبركة والنماء لفظة "غيث"، أو "ماء".

- **عبيد**: يطلق على كل الناس. و**عباد**: يطلق على الناس المؤمنين أو الأخيار فقط.

- **بلد وبلدة**: يُوظّفان في مجال الخير والبركة؛ و**بلاد** توظّف في مجال العقاب والعذاب والفساد. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (ابراهيم:35). وقال: ﴿مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبأ:15). أما لفظ "بلاد" فقال فيه تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ (الفجر:12).

أما الكُتّاب والأدباء فلا يفعلون مثل هذا بكلمات اللغة، ولا يدققون هذا التدقيق الباهر العميق الدلالة، إنما يجعلون هذه الكلمات من باب المترادفات، وكل كلمة قد تحل مكان أخرى في أي سياق، دون خلل في المعنى، أو إبهام في المقصود.

و- **الاطرادات اللفظية**: هي ظاهرة أخرى من ظواهر التعبير القرآني، وإيراده لكلمات اللغة؛ فقد وظّف كلمات معيّنة في الخطاب المكي، ثم اختفت في الخطاب المدني، أو العكس. وهذا الأمر عظيم الفائدة من نواحٍ عدة. ومن ذلك الكلمات التالية:

- **الرسول**: يستخدم في مجال العقيدة والرسالة العامة والتوحيد. لا سيما إذا كان الخطاب بـ(يا أيها الرسول).

- **النبي**: يستخدم في مجال تفاصيل الدين والأمور الاجتماعية. لا سيما إذا كان الخطاب بـ(يا أيها النبي). واللفظ الأول نجده في القرآن المكي، والثاني في القرآن المدني. فهل هذا مصادفة فقط؟

- هناك ألفاظ ذكرت في القرآن المكي مثل: قَسَم، صوم، بنو إسرائيل، وذكر مرادفها في القرآن المدني كما يلي: حِلف، صيام، يهود. فلفظ "قسم" الذي ورد في القرآن المكي يعادله لفظ "حلف" في القرآن[1]

1- بن فارس، **أفراد كلمات القرآن العزيز**، مرجع سابق، ص 11.

المدني، وهكذا مع بقية الكلمات الأخرى، لكن هناك فرقاً دقيقاً بين المترادفيْن؛ فلفظ "قسم" يأتي بمعنى الأيْمان الصادقة، أي يُقسم الإنسان بالله وهو صادق في ذلك، أما لفظ "حلف" فيرد في معنى الأيْمان الكاذبة؛ أي يقسم بالله وهو كاذب فيه.

ونجد أيضاً ألفاظاً تذكر في العهد المكي ثم تختفي في العهد المدني، مثل: سحر، ساحر، شاعر، كاهن، عربي، أساطير، سنين، مجنون، الجن. فهذه الكلمات وردت في القرآن المكي فقط، فقد تكررت في القرآن المكي وحده للدلالة على ما كان يعتقده العرب آنذاك، لأنّ القرآن الكريم كان يتصدّى لهم في هذه الاعتقادات، ويُسفّهها. فلما كانت قريش تقول عن الوحي الذي نزل على محمد ﷺ بأنه شعر وسحر وكهانة إلخ، كان القرآن يردّ عليهم بأن يأتوا بمثله. فإن كان شعراً فلْيأتوا به إذن، وإن كان سحراً فليفعلوا مثله. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ونزل قرآن آخر يناسب تلك المرحلة، لم يعُدْ القرآن يذكر هذه الأشياء لأنه تبيّن بوضوح بما لا يحتاج إلى مزيد، بأن هذا القرآن ليس مما كانوا يزعمون. فاختفت تلك الكلمات الدالة على ذلك.

ثم نجد في القرآن المدني كلمات جديدة لم تذكر في القرآن المكي مثل: الجهاد، المنافقون، اليهود، الصيام، حرج.. إلخ. فلو أخذنا كلمة "جهاد" نفهم مباشرة لماذا لم تذكر مدة ثلاث عشرة سنة في مكة؟ والجواب هو أن الدين الإسلامي لم يشرع القتال طمعاً في الغنائم، أو لإكراه الناس على الدخول فيه، إنما جاء دفاعاً عن النفس. كما أنه ليس في كل القرآن لفظة "سيف"، ولو مرة واحدة، بينما نجدها في الإنجيل أكثر من 200 مرة.

وهناك توظيف دقيق جدا للمترادفات، لا يكاد الإنسان غير المتخصص إدراك الفرق بينهما، مثل: جاء وأتى، العام والسنة والحول والحِجّة، أعطى وآتى، وغير ها. وبسرعة يمكن أن نقول إن التعبير القرآني قد أورد كل هذه الكلمات بشكل دقيق جداً بحيث لا نكاد نشعر بالفرق بينها. فكلمة "أعطى" تدل على التمليك؛ أي إذا أعطاك الله شيئاً فقد جعله ملكاً لك تفعل به ما تشاء. أما إذا "آتاك" شيئاً ما فمطلوب منك أن تؤدي حقه كما يريد الله تعالى منك ذلك. ومن ثم، فإنّ المُلك لا يعطى إنما يُؤتى، إذن لا يجوز أن تفعل به ما تشاء إنما تسير به وفق منهج الله تعالى. والفرق بين "جاء" و"أتى" و"حضر" أنّ الأول كثيرا ما يرد بمعنى المفاجأة ومن غير دعوة. والفعل "أتى" فيه معنى السهولة وبطلب سابق أو دعوة. والفعل "حضر" ورد كثيرًا في سياق قسمة التركة، وفي سياق الموت.

يستنتج مما سبق أنّ القرآن الكريم يستخدم الألفاظ اللغوية بشكل مضبوط ومحسوب ودقيق، لا يستطيع أحد من البشر أن يفعل مثل ذلك فيما يكتبه من شعر أو نثر أو علم. وهذا دليل كاف على أنّ

هذا القرآن ليس من تأليف محمد ﷺ **، إنما هو كلام رب العالمين،مصداقا لقوله تعالى: ت** ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **(الحاقة: 43)**

ثانيا: الآية

1- تعريف الآية [1]

أ- **تعريفها لغة: تطلق الآية في اللغة على معان متعددة منها:**

❖ **المعجزة، والعلامة، و العبرة، والأمر العجيب، و الجماعة، و الدليل. وقد جاء في القرآن الكريم بعضا من هذه الدلالات:**

❖ **المعجزة و منه قوله تعالى:** ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ **(البقرة: 211)**

❖ **العلامة الظاهرة ومنه قوله تعالى :** ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

(البقرة : 248)

❖**الأمر العجيب، ومنه قوله تعالى :** ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

(المؤمنون: 50)

❖**العبرة ومنه قوله تعالى :** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **(البقرة : 248)**

❖ **البرهان والدليل، ومنه قوله تعالى :** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **(الروم: 22)**

❖ **تأتي بمعنى الجماعة، ومنه قولهم: خرج القوم بآياتهم أي بجماعاتهم، ويقال : سميت الآية آية لأنّها جماعة من حروف القرآن.**

واختلف في وزنها، فقال الخليل وسيبويه: (فَعَلة) بفتح العين، و العين باء أو واو، فلما تحركت و انفتح ما قبلها أبدلت ألفا. وقال الفراء والكسائي وزنها (فاعلة) و الذاهبة اللام ولو جاءت تامه لجاءت آية، فخففت، وقيل الذاهبة العين تجفيفا أيضا . وقيل هي على وزن (فعلة) بسكون العين، فقلبت الياء ألفا لانفتاح ما قبلها، وهذا قلب شاذ.

1- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن، ج1**، مرجع سابق، ص266.

ب- تعريفها اصطلاحا : الآية في الاصطلاح أو في عرف القرآن هي:" قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدأ و مقطع مندرج في سورة " أو هي": جزء من السورة لها مبدأ ونهاية، وآخرها يسمى فاصلة أو هي : "طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وعما بعدها".

ومن الواضح البين مناسبة المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي للآية القرآنية، فهي القرآن المعجز، وهي علامة على صدق الآتي بها ﷺ وفيها عبرة لمن أراد أن يعتبر، وهي من الأمور العجيبة، لسمو أسلوبها ومعناها، وفيها معنى الجماعة، لأنها مؤلفة من الحروف و الكلمات، و فيها معنى الدليل لأنها برهان على ما تضمنته من هداية وعلم.

2- طريقة معرفة الآية [1]

للعلماء في معرفة الآية من حيث بدايتها ونهايتها قولان:

القول الأول : إن معرفة بداية الآية ونهايتها سماعي لا مجال للاجتهاد والقياس فيه ولهم أدلة منها:

1- إن العلماء اتفقوا على أن (المص) آية ولم يعدوا (المرَ) آية ، وعدوا (يس)آية ولم يعدوا (طس) آية ولو كان بالقياس والرأي لم يفرقوا بينهما.

2- هناك أحاديث عن الرسول ﷺ حدد فيها بعض الآيات كقوله ﷺ عن الفاتحة " هي السبع المثاني" رواه البخاري.

وقوله ﷺ (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) متفق عليه . وغير ذلك فلولا أنه ﷺ حدد بداية الآيات ونهايتها ماعرفنا أن الفاتحة سبع آيات مثلاً ولا عرفنا آخر آيتين في البقرة ونحو ذلك.

القول الثاني : قيل إن معرفة بداية الآيات ونهاياتها منه ما هو سماعي ومنه ما هو قياسي.

3- إطلاق الآية:

تطلق الآية ويراد بها مجازاً:

- بعض الآية كقول ابن عباس-رضي الله عنه- (أرجى آية في القرآن) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ (الرعد: 6) .

فإنه بعض آية بإتفاق.

1- وزارة التربية والتعليم، **علوم القرآن** ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008م/1429هـ، ص ص 33-34.

- وتطلق الآية على ماهو أكثر من الآية كقول ابن مسعود (أحكم آية) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: آيتا 7، 8)

فإنهما آيتان بإتفاق.

4- عدد آيات القرآن :

اختلف العلماء في عدد آيات القرآن فقيل (6217) وقيل (6220) وقيل(6226) وقيل (6336) وقيل غير ذلك.

وسبب الاختلاف ، الاختلاف في بداية الآية ونهايتها فمنهم من يعد بعض الكلمات آية ومنهم من يعدها بعض آية.

5- أطول آية وأقصرآية:

أما أطول آية فهي آية (الدَّيْن) في سورة البقرة ، وأقصر آية هي (يس) في صدر السورة .

6- من فوائد معرفة الآيات :

- العلم أن كل ثلاث آيات قصار معجزة لأن الله تحدى بالإتيان بسورة من مثله وأقصر سورة ثلاث آيات فدل على أن كل ثلاث آيات قصار يثبت بها الإعجاز وفي قوتها الآية الواحدة الطويلة.
- حسن الوقف على رؤوس الآية عند من يرى أن الوقف عند ذلك سنة.
- اعتبار الآيات في أحكام العبادات كالصلاة وخطبة الجمعة.

ثالثا: السورة

1- تعريف السورة:

أ- لغة:

قال ابن فارس: "السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو و ارتفاع" والسورة في اللغة إما أن تكون مشتقة من سور المدينة، شبهت به لإحاطتها بآياتها و اجتماعها كاجتماع البيوت بالسور. أو من التسوّر، بمعنى التصاعد والتركيب، لعلو شأنها و شان قارئها. و السورة أيضّا تطلق على المنزلة الرفيعة[1]

ب- اصطلاحا:

السورة "طائفة من القرآن مستقلة، ذات مطلع ومقطع، وأقلها ثلاث آيات أو هي: "الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص، بتوقيف من النبي ".

1- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**،ج1، مرجع سابق،ص266.

2- طريقة معرفة السورة:

معرفة بداية السورة ونهايتها سماعي لا مجال للاجتهاد فيه.

3- مصدر اسماء السور:

اختلف في أسماء السور:

- ✓ **فقيل إنها توقيفية.**
- ✓ **وقيل إنها اجتهادية.**

والراجح أنها توقيفية، قال السيوطي: (وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار).

4- عدد السور : عدد سور القرآن الكريم (114) سورة ، وقيل إنها (113) سورة باعتبار الأنفال وبراءة سورة واحدة.

5- أقسام السور:

النوع الأول: تنقسم سور القرآن من حيث تعدد الاسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : ماله اسم واحد ، كالنساء ، والأعراف ، والأنعام ، وغير ذلك.

القسم الثاني : ماله أكثر من اسم، كالفاتحة، فإنها تسمى أم الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن، والشافية، والكافية، وغير ذلك وكالتوبة، فإنها تسمى براءة، والفاضحة، والبحوث، والمبعثرة، والمشقشقة وغير ذلك.

القسم الثالث : تسمى عدة سور باسم واحد نحو (الزهراوين) للبقرة وآل عمران ، و(المعوذتين) للفلق والناس، و(الحواميم) للسور المبدوءة ب (حم) .

النوع الثاني : تنقسم سور القرآن من حيث الطول وعدمه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول : الطوال: وهي سبع، البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، واختلف في السابعة فقيل، (الأنفال والتوبة معاً) وقيل (يونس) [1].

القسم الثاني : المئون : وهي السور التي تزيد آياتها على مئه آية أو تقاربها.

القسم الثالث : المثاني : وهي التي تلي المئين في عدد الآيات.

القسم الرابع : المفصل : وهو آواخر القرآن واختلف في بدايته فقيل من سورة (ق) ، وقيل من

1- وزارة التربية والتعليم، **علوم القرآن**، مرجع سابق ،ص ص 35-36.

(الحجرات) وينقسم المفصل إلى ثلاثة أقسام:

1- طوال المفصل من (ق) أو (الحجرات) إلى (النبأ) أو(البروج).

2- أوساط المفصل من(النبأ) أو(البروج) إلى (الضحى) أو (البينة).

3- قصار المفصل من (الضحى) أو (البينة) إلى آخر القرآن.

6- حكمة تسوير القرآن:

لتقسيم القرآن إلى سور فوائد كثير منها:

- ✓ الدلالة على موضوع الحديث ومحور الكلام ، وذلك أن لكل سورة موضوعاً تتحدث عنه.
- ✓ أن القارىء وكذا الحافظ إذا أتم سورة كان أنشط له وأبعث لتلاوة أو حفظ السورة التي تليها وهكذا حتى يأخذ حظه من القرآن.
- ✓ تيسير حفظه، فتجزئة العمل باعث على إنجازه، مبيّنٌ للقدر الذي أنجز، والقدر الذي بقي باعث على المواصلة للإحاطة به و استكماله. وفي كونه سورا طويلة وقصيرة و ترتيبه الترتيب المعروف تيسير آخر لتعليم الأطفال، والتدرج بهم من السور القصار إلى ما فوقها.
- ✓ تشويق قارئ القرآن و دارسه إلى المواصلة، ويبعث فيه الهمة والنشاط لاستيعابه.
- ✓ ترسيخ لموضوعات السور، و دلالة على عناصر كل منها، وما تناولته من أحكام.
- ✓ إن جعل القرآن سورا طوالا وقصارا يشير إلى أن الطول ليس شرطا في التحدي والإعجاز فالسور معجزة برأسها، وإن بلغت في القصر ثلاث آيات.
- ✓ وقال الزمخشري في فوائد تجزئة القرآن: "إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن و أفخم من أن يكون بابا و احدا-"
- ✓ وعلى هذا النمط ألّف المؤلفون كتبهم، وبوّبوا مصنفاتهم أبوابا، صدّروا كل باب بعنوان خاص.
- ✓ وإن التفصيل لتلاحق الأشكال والنظائر و ملاءمة بعضها البعض يساعد على ملاحظة المعاني وأسرار النظم الكريم [1].

7- أسماء السور :

سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة، كانت أسماؤها معروفة في زمن النبي ﷺ ، فقد كان إذا نزل عليه الشيءُ من القرآن يدعو بعض من يكتب له ويقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا [2].

1- وزارة التربية والتعليم، **علوم القرآن**، مرجع سابق ،ص 36.

2- السيوطي، **الاتقان**، مرجع سابق،172/1.

يشير بهذا إلى اسم السورة. وقال السيوطي: «وقد ثبتت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار"[1]. واسم السورة يؤخذ من شيء ورد ذكره فيها أو مما اختصت به ، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وهكذا في تسمية سائر سور القرآن[2]

وقد يكون للسورة إسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر، من ذلك سورة براءة تسمى التوبة، وسورة الإسراء تسمى سورة بني إسرائيل، وسورة فصلت تسمى حم السجدة ، وسورة غافر تسمى المؤمن، وسورة محمد تسمى القتال، وسورة تبارك تسمى الملك، وهكذا[3]. وقد تساءل الزركشي: هل تعدد الأسامي توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ وقد رجح أنه توقيفي أيضا [4].

ولم تكن أسماء السور تكتب في المصحف في الحقبة الأولى من تاريخ الإسلام، فكان يترك بين السورتين فراغ قدر سطر واحد[5]، ثم صار هذا الفراغ يشتغل بخطين تزين ما بينهما دوائر، أو خط متعرج كالسلسلة، أو يترك ما بينهما خاليا [6]. ثم صار الخطاطون يعتنون بزخرفة ما بين السورتين، وصار يكتب في داخل تلك الزخرفة اسم السورة وما يتصل بمكان نزولها وعدد آياتها[7]، وحافظ المصحف في عصر الطباعة على تلك الصورة لفواتح السور.

8- تجزئة المصحف :

لم تكن المصاحف العثمانية مقسمة إلى أجزاء وإنما تم التقسيم بعد ذلك، فقسموا القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءاً سموا كل جزء بأول كلمة فيه ، وقسموا الجزء إلى حزبين ، فالقرآن ستون حزباً، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام سموا كل قسم ربعاً.

ومنهم من وضع على رأس كل خمس آيات كلمة (خمس) وعلى رأس كل عشر آيات كلمة (عشر) ويعاقب بينها فمرة يضع (خمس) ومرة يضع (عشر) إلى آخر السورة ، ثم اختصروا كلمة (خمس) إلى (خ) ويضعون بدلاً من(عشر) (ع) [8].

1- السيوطي، **الإتقان**، مرجع سابق،150/1.
2- الزركشي، **البرهان**، مرجع سابق، 270/1.
3- السيوطي، **الإتقان**، مرجع سابق، 151/1.
4- الزركشي، **البرهان**، مرجع سابق، 1/ 270..
5- موريتز، **مجموعته المصورة (الباليو جرافية العربية)**، لوحه 17.
6- صلاح الدين، **المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي**، ص ص 92 – 94. ,
7- موريتز، مرجع سابق، لوحة 1-12.
8- وزارة التربية والتعليم، **علوم القرآن**، مرجع سابق، ص ص 37.

المحاضرة 05 : القصة القرآنية

أولا: معنى القص

تتبع الأثر ، يقال : قصصت أثره : أي تتبعته ، والقصص مصدر ، قال تعالى:

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف: 64) أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به ، وقال على لسان أم موسى :

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ (القصص: 11) أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه .

والقصص كذلك : الأخبار المتتبعة قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (آل عمران: 62) ، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: 111) والقصة : الأمر ، والخبر ، والشأن، ،والحال .

وقصص القرآن : أخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة ، والحوادث الواقعة .وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي ، وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والديار ، وتتبع آثار كل قوم ، وحكي عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه .

ثانيا: أنواع القصص في القرآن

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم ، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم ، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم ، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام،

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم : كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وطالوت وجالوت ، وابني آدم ، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم ، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم ،

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ : كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[1] .

ثالثا: فوائد قصص القرآن

وللقصص القرآني فوائد تجمل أهمها فيما يأتي :

1- وزارة التربية والتعليم، **علوم القرآن**، مرجع سابق، ص 96.

أ- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بُعث بها كل نبي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ **(الأنبياء: 25)**

ب- تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب المسلمين على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان الباطل وأهله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ **(هود: 120)**

ج- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

د - إظهار صدق محمد -صلى الله عليه وسلم -في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

هـ - مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل ، كقوله تعالى : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ **(آل عمران: 93).**

و - والقصص ضرب من ضروب الأدب ، يصغى إليه السمع ، وترسخ عبره في النفس : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ **(يوسف: 111)**

❖ أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف - وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر ، وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار .

والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة، وإلى أمد قصير، ولذا كان الأسلوب القصصي أجدي نفعا، وأكثر فائدة .

والمعهود - حتى في حياة الطفولة - أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يروى له، فيحاكيه ويقصه.

هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه .

وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي ، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات ، وأحوال الأمم، ولا تقول في ذلك إلا حقا وصدقا .

ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكرى للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم .

رابعا: منهج القصة في القرآن[1]

للقصة في القرآن منهج فريد، لا يشبه أي أسلوب من الأساليب المعهودة للقصة.

وهي تتبع في ذلك الأغراض التي سيقت من أجلها، ، والقصة في القرآن ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، وإنما هي مسوقة لغرض ديني مهما تنوعت أقسامه وتفرعت أشكاله.

فإن المنهج الذي تسير عليه القصة في القرآن أثر من آثار الغرض الذي سيقت من أجله ؛ وهو منهج يقوم - في الوقت نفسه - على أروع مظاهر الجمال الفني والإشراق البياني .

ويمكن أن نلخصها في المظاهر التالية :

المظهر الأول : التكرار. تجد أن القصة الواحدة قد تكررت في القرآن مرات عديدة ، كقصة موسى وفرعون، وكقصة نوح، وقصة خلق آدم .

غير أن هذا ليس تعبيرا دقيقا عن هذه الظاهرة. فالذي يحدث، عند تكرار القصة أكثر من مرة في القرآن، ليس هو التكرار بمعناه المعروف. إنما الذي يحدث هو أن القرآن يتناول من القصة الواحدة في كل مرة جانبا معينا فيها، وهو الجانب الذي تستدعيه المناسبة. وقد يحدث أن يتكرر عرض القصة نفسها أو عرض الجانب الواحد منها، بحسب الظاهر ؛ ولكن تلك القصة أو ذلك الجانب منها ينطوي على عبر وعظات متعددة، فيقتضي الغرض الديني أن يعاد ذكرها عندما تأتي مناسبة كل عبرة من عبرها، فتلبس القصة في كل مرة من الأسلوب والإخراج التصويري ما يناسب المعنى الذي سيقت بصدده، حتى لكأنّك منها أمام قصة جديدة لم تتكرر على مسامعك ولم تعرض أحداثها على خاطرك من قبل . وإذا أردت أن تقف على مثال لهذا فاقرأ سورة هود وأمعن فيما تجد فيها من قصص الأنبياء والأمم الغابرة ثم إقرأ سورة القمر، ففيها عود إلى تلك القصص نفسها، ولكنك تلاحظ من اختلاف الأسلوب والعرض وجرس الألفاظ ما يخيل إليك أنك أمام قصص وأخبار لم تكن تعلم بها، ثم إنك تجد فيها من المعاني والعظات ما لم تكن قد تنبهت إليه في المرة الأولى .

1- محمد سعيد رمضان البوطي، **من روائع القرآن**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2003، ص 195، وما بعدها بتصرف .

*** تكرار القصص وحكمته:**

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة بتعدد ذكرها في القرآن، وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير ، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك، ومن حكمة هذا :

❖ بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها : فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب ، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .

❖ قوة الإعجاز : فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

❖ الاهتمام بشأن القصة التمكين عبرها في النفس : فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام ، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون[1]، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل - مع أن القصة لا تكرّر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

❖ اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة : فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال .

<u>المظهر الثاني</u> : الاقتصار من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض . ومن أجل هذا فإنك قلما تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردا تاريخيا، تبعا لسلسلة الوقائع والأحداث. لأن ذلك يبعد القصة عن مقصدها الذي أوضحناه.

ولنعرض أمثلة لذلك،

قص علينا القران في سورة (الكهف) قصة أصحاب الكهف ، فبدأها بهذه الآيات.

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ **(الكهف: 13-15)**

فأنت ترى أنه بدأ فوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن أقوامهم بالإيمان بالله عز وجل ووحدانيته مخالفين ما عليه سائرهم من الشرك والكفر، وأنهم من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم ويخرجوا من بينهم. ثم تمضي القصة على هذا المنوال .

1- محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق ، ص195.

فمن هم هؤلاء القوم؟ وفي أي بلدة كانوا يسكنون؟ وكم كان عدد هؤلاء الفتية؟ وما هي أسماؤهم؟ هذه أسئلة كان من مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة عنها ، ولكنها لو أوضحت ذلك وسارت في تتمتها على هذه الطريقة لما وفت بالغرض الديني الذي تستهدفه، ولانصرف فكر القارىء إلى تتبع أحداث تاريخية يريد أن يعرفها، ولغفل بذلك عن العبرة والعظة التي سبقت القصة من أجلهما.

المظهر الثالث: إقحام النصائح والعظات في ثنايا القصة، وهو مظهر عام يشمل شتى الموضوعات القرانية كما أوضحنا فيما مضى.

فالقرآن لا يدع القارىء يندمج مع موضوع من مواضيعه وينصرف إليه بكل تفكيره، دون أن يفصل بين أجزائه بفواصل من العظات تنبهه إلى المقصود من كل هذه المباحث، وتربط على قلبه برباط من الخشية والمراقبة الإلهية عند قراءتها والتأمل فيها[1].

فمن أجل ذلك لم تكن في القرآن فصول خاصة في التشريع، وفصول خاصة في سرد المغيبات من جنة ونار وما يتعلق بهما. وقد أوضحنا هذا عند الحديث عن خصائص الأسلوب القرآني . يقول الله تعالى :

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا . وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ **(الكهف: 22-24)**

فنحن نرى كيف هيأت الآيات أثناء عرض القصة مناسبة لتوجيه هذه العظات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمعها المسلمون فيتعظوا ويتمسكوا بها، ثم ما هو إلا أن يعود السياق إلى تتميم القصة بعد ذلك.

المظهر الرابع : العرض التصويري، فأسلوب القرآن عند ذكر قصة من القصص، لا يخبرعنها القارئ إخبارا، ولكنه يمر بشريط حي لها على الخيال والأحاسيس.

المظهر الخامس: التنويع في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها، ومن أهم مظاهر التشويق في القصة ينبغي أن يكون متجمعا وبارزا في أولها، حتى يندفع القاريء بذلك إلى المضي في استطلاعها والتأمل في مختلف مراحلها.

فالقصة في القرآن، تبدأ في كثير من الأحيان، بأغرب مشهد يلفت النظر فيها، حتى إذا أثار ذلك انتباه القارىء، انطلق البيان القرآني في عرض سائر مشاهدها المتلاحقة، وقد يكون هذا المشهد الذي أقيم في

1- محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق، ص ص196-198 بتصرف.

مدخل القصة ، متأخرا من حيث سلسلة الوقائع والأحداث المتلاحقة فيها، فيعمد البيان القرآني العظيم إلى استدراك ما تركه من قبل، ويعرضه خلال القصة بمناسبة ما، وفي إطار يزيد من جمال العرض وروعته .

ولنقرأ – مثالا لذلك . قصة موسى وفرعون في أول سورة طه. ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ . إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ **(طه: 9-10).**

لا ريب أنه مشهد يلفت النظر ويبعث على الانتباه والتطلّع إلى ما وراءه. ولكن البداءة به فوّتت – على القارىء معرفة ما سبق ذلك من الأحداث؛ فيستدركها البيان القرآني في ثنايا العرض ويصورها للقارىء وكأنها قصة ضمن قصة.

ولننظر كيف حانت المناسبة، وكيف عادت القصة إلى عرض الأحداث من أولها بمناسبة معينة. فعندما ذهب موسى إلى حيث رأى النار المشتعلة، سمع هناك نداء الله عز وجل يكلمه ويضعه أمام مسؤولية الرسالة التي سيكلف بها، فيقول موسى إنه وحده ضعيف عن تحمّل هذه المهمة الشاقة، فليكن أخوه هارون معينا له ومساعدة في ذلك. فيجيبه الله إلى ذلك ويذكره ممتنا بنعمه التي أسبغها عليه منذ ولادته إلى اليوم، وهكذا تأتي المناسبة وتعود القصة من أولها بهذا الشكل[1] ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ . وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ . إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ . أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي . إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ **(طه: 36-40)**

ولعله لا يخفى علينا أن هذا الأسلوب في عرض القصة يعتبر من أحدث الأساليب الفنية في إخراج الروايات والقصص كتابة وتمثيلا.

1- نفس المرجع، ص199، بتصرف.

المظهر السادس : العرض التمثيلي الذي يعتمد على إبراز المشاهد جلية مشرقة أمام الناظر أو المتخيل، ويطوي ما بينها من الروابط البدهية اعتمادا على سير المخيلة وتصورها.

ونحن نعلم أن القصة إذا ما أريد عرضها بأسلوب تمثيلي حيّ، فلا بد فيها من طي تلك الأحداث التي يفرضها الفكر والخيال بالبداهة، بل إن القيمة الفنية للقصة وحيويتها تقل كثيرا إذا ما شغل فكر الناظر أو السامع بالحديث عن تلك الروابط وتبيانها.

والقصة القرآنية قائمة على هذه السمة والنهج الدائم مهما كانت القصة أو كان موضوعها.

لننظر مثلا إلى قصة نوح التي وردت في سورة هود، وننتبه إلى قوله عز وجل فيها:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ . وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾. **(هود: 36-38)**

فنجد أنفسنا في أول هذه الآيات أمام الإختبار الإلهي الذي ينزل على نوح بشأن قومه وأمْره إياه بأن ينصرف إلى إنشاء سفينة لينجو بها مع القلة من أصحابه المؤمنين ،فإن قومه مقدمون على هلاك بطوفان. ثم يسدل الستار على هذا المشهد ليبرز من ورائه مشهد آخر تبصر فيه نوحا عليه السلام وهو منهمك في صنع سفينة. ولا ريب أن بين المشهدين أحداثا طوتها القصة وهي عزم نوح على القيام بهذا الأمر، واستحضار المواد والوسائل لذلك؛ ولكنها أحداث جزئية يستقل بها الخيال فلا ينبغي أن يفسد بذكرها عرض القصة.

إن القيمة الفنية في القرآن عموما،وفي موضوع القصة خصوصا،خادم لتحقيق الهدف التربوي، مع إقناع العقل والتأثير في القلب والوجدان[1].

1- محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق، ص202 بتصرف.

المحاضرة 06 : سياقات النص القرآني

أولا: السياق السببي: أسباب النزول

تبين لنا مما ذكرناه من نزول القرآن منجما وأسباب ذلك، أن كثيرا من آيات القرآن كان ينزل بمناسبات وأسباب.

والواقع أن آيات القرآن تنقسم إلى طائفتين بالنظر لأسباب النزول.

فأما الطائفة الأولى منها وهي التي تتعلق بالتشريع والأحكام والأخلاق . فمعظمها كان نزوله مرتبطا بأسباب ووقائع، أي ما نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة، ما يمكن أن نسميه بسبب النزول و هو: السبب الخاص ، وقد ألّف فيه العلماء وأفردوه بالتأليف، منهم علي بن المديني شيخ البخاري و الواحدي، والجعبري، و ابن حجر والسيوطي الذي وضع فيه كتابا سماه " لباب النقول في أسباب النزول".

وأما الطائفة الأخرى وهي التي تتحدث عن الأمم الغابرة وما حل بها أو عن وصف الجنة والنار والقيامة . ففيها الكثير مما نزل ابتداء بدون سبب أو واقعة معينة ما، إنما هو لمحض الهداية إلى الطريق المستقيم، وهو كثير ظاهر لا يحتاج إلى بحث ولا بيان، وهو أصل نزول القرآن.

وفي القرآن الكثير مما نزل ابتداء بدون سبب. وإذ تأملنا ، وجدت أن معظم ما نزل ابتداء إنما هو من نوع الوصف والإخبار، وأن معظم ما نزل بسبب إنما هو من نوع الأوامر والنواهي والتوجيه والإرشاد .

1: تعريف أسباب النزول

تعريف السبب: لغة الحبل، ثم استعمل لكل شيء يتوصل به إلى غيره[1] واصطلاحا: ما يكون طريقا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. و مثاله: زوال الشمس علامة لوجوب الصلاة، وطلوع الهلال علامة على وجوب صوم رمضان في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **(البقرة: 185)**

وسبب النزول هو: "ما أنزل الله بشأنه قرآنا وقت وقوعه، كحادثة، أو سؤال".

1- شهاب الدين الخيري، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، دار الغرب الاسلامي،بيروت، 1423هـ، ص: 117.

2- أمثلة لأسباب النزول[1]:

❖ **روى مقاتل والكلبي أن رجلا من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال، فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت الآية :**﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ **(النساء: 2)**

❖ **روى البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه قال : عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة يمشيان، فوجداني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ ثم رش علي منه فأفقت، فقلت كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزل قوله تعالى:** ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ **(النساء الآية: 11)**

❖ **ذكر علماء التفسير أن (ابن خلف) و(عقبة بن أبي معيط) كانا متحالفين ،فصنع عقبة طعاما دعا الناس إليه ودعا رسول الله ﷺ أيضا، فلما قرب قال رسول الله ﷺ: "ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ". فقال عقبة : "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله "، فأكل من طعامه، وكان أبي بن خلف غائبا، فلما أخبر بقصته قال: "صبأت ياعقبة؟! ".فقال عقبة : "والله ما صبأت ولكن دخل علي الرجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم"، فقال أبي:" ما أنا بالذي يرضي منك أبدا حتى تأتيه فتبصق في وجهه وترد عليه دينه". ففعل ذلك، وقال الضحاك:" لما بصق في وجه رسول الله له عاد بصاقه في وجهه فتشعب شعبتين، فأحرق خديه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت" ففي ذلك نزل قوله تعالى :**

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ **(الفرقان: 27-29)**

1- البوطي، مرجع سابق، ص38-39.

3: فوائد معرفة أسباب النزول

الحكمة العامة من الطائفة الأولى من الآيات، إنما شأنه تحويل حياة الناس إلى الأفضل وصدهم عن السيء والقبيح، وهدايتهم إلى الأقوم. والمؤكد أن الأفكار التوجيهية والأحكام التشريعية تكون نظرية بمقدار بعدها عن ظروفها وعن ارتباطها بأسبابها العملية. ولن تجد وسيلة إلى ترسيخ حكم من الأحكام في الأذهان وتنبيه الأفكار إلى مدى صلاحه وقيمته ، خيرا من أن تعرضه على الناس في مجال تطبيقه وتقدمه عند الحاجة إليه. وإنها لطريقة تربوية معروفة لا تحتمل البحث والمراء.

فمن أجل ذلك قدم القرآن الكريم إلى الناس أحكامه التشريعية ومعظم توجيهاته الأخلاقية منثورة ومقسمة على الوقائع والأحداث، أو الأسئلة والاستشكالات، حتى تمتزج هذه الأحكام مع الوقائع وتغرس في تربة التطبيق فور ظهورها وولادتها، فيكون ذلك أدعى لحفظها وأبين لقيمتها وصلاحيتها.

ولمعرفة أسباب نزول الآيات، أهمية كبرى في تجلية معانيها، والوقوف على حقيقة تفسيرها، إذ رب آية من القرآن يعطي ظاهرها دلالات غير مقصودة منها، فإذا وقفت على مناسبتها وسبب نزولها انحسر عنها سبب اللبس وظهرت فيها حقيقة المعنى ومدى شموله واتساعه. فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 115)

فالمتبادر من ظاهرها أن الاتجاه في الصلاة إلى كل الجهات سواء، فللمصلي أن يتجه إلى حيث يشاء في صلاته . ولكننا إذا وقفنا على سبب نزول هذه الآية رأيت أنها لا تحمل هذه الدلالة المطلقة، وسببها على ما رواه (الواحدي) في كتابه "أسباب النزول" ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث سرية ،فأصابتهم ظلمة، فلم يعرفوا القبلة ، فاتجه كل منهم ناحية حسب ظنه واجتهاده، فلما قفلوا عائدين سألوا رسول الله له عن ذلك فسكت، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ﴾ (البقرة: 115) ولولا معرفة سبب النزول لتمسك الواهمون بمثل قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: 219) و دليلا على عدم حرمتها لما فيها من المنافع.

فمن أجل ذلك يقول الواحدي في مقدمة كتابه أسباب النزول (.. إذا هي - أي أسباب النزول - أوفي ما يجب الوقوف عليه وأولى ما تصرف العناية إليه، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[1].

ويمكن إجمال فوائد معرفة أسباب النزول فيما يلي:

- ❖ يعين على فهم الآية فهما صحيحا، ويؤدي إلى معالجة ما يطرأ على البعض من إشكال، وذلك لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.
- ❖ يساعد على إدراك الحكمة التي دعت إلى تشريع بعض الأحكام، ومعرفة مقاصد الشرع، ومراعاته للمصالح العامة والخاصة في معالجة الحوادث.
- ❖ يساعد على فهم واقع الدعوة ، وكيفية مواجهة الحوادث التي تواجهها: العقدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ؛ لأن الارتباط بعض الآيات بأسباب نزول خاص جعل في القرأن واقعية تمس الحياة اليومية للمجتمع في كل جوانبه.
- ❖ فيه تسهيل حفظه لأن معرفة السبب يعين على الفهم، والفهم يعين على الحفظ كما أن ربط الآيات بأحداث معينة يجعلها أكثر رسوخ في الذهن، وثباتا في القلب.
- ❖معرفة من نزلت فيه الآية بعينه، لأن في ذلك من الفوائد الشيء الكثير إذ فيه إسناد الفضل لأهله، ونفي التهمة عن البريء؛ حتى لا تحمل على غيره بدافع البغض أو المحبة.
- ❖ كشف وجه من وجوه بلاغة القرآن الكريم وذلك من خلال معرفة مراعاة الكلام المقتضى الحال؛ وذلك من خلال المطابقة والمقارنة بين الحادثة والنص القرآني الذي أنزل فيها[2].

ثانيا: السياق المكاني: المكي والمدني

ينقسم القرآن الكريم في مجموعه إلى مكي ومدني.

1-تعريف المكي والمدني[□]: للعلماء ثلاثة اصطلاحات في تعريف كل من الملكي والمدني.

أحدها : أن المكّي هو كل ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة، سواء كان ذلك من قبل الهجرة أو بعدها. فالاعتبار على هذا الاصطلاح للمكان وحده .

والثاني : أن المكّي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاب لأهل المدينة، فالاعتبار على هذا للموضوع وحده .

والثالث : أن المكّي ما نزل من قبل الهجرة والمدني ما نزل من بعد الهجرة، دون النظر إلى مكان النزول بالذات. والاعتبار على هذا الزمان وحده .

1- البوطي ، مرجع سابق، ص40.

2- بن عبد الله واسيني، **محاضرات في مادة علوم القرآن**، جامعة المسيلة، 2013/2012 ، ص49 .

3- عبد العزيز ثابت، **مذكرة في علوم القرآن لطلبة السنة الأولى**، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2017/2016 ، ص25.

وهذا الاصطلاح الثالث هو أشهر وأصح ما قيل في هذا الموضوع. وبناء على ذلك فإن كل ما نزل من القرآن من قبل هجرته ﷺ إلى المدينة يسمى مكيّا سواء نزل في مكة أو في الطائف أو في أي جهة أخرى. وكل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني سواء نزل بالمدينة أو في الأسفار والغزوات أو في مكة في عام الفتح.

2- بدء النزول القرآني بمكة[1]:

بدأ النزول القرآني بمكة في اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الحادية والأربعين من ميلاد المصطفى ﷺ، الموافق 611 لميلاد السيد المسيح،وانتهى في الأول من ربيع الأول من السنة الرابعة والخمسين من ميلاده ﷺ، في سنة 622 لميلاد السيد المسيح عليه السلام،ثم هاجرالرسول ﷺ إلى المدينة.

فمدة النزول القرآني بمكة اثنا عشرة سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشرة يوما. وقد استند العلماء في تحديد بدء النزول المكي، وهو السابع عشر من رمضان،إلى قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **(الانفال: 41)**

فيوم الفرقان هو بدء نزول القرآن،ويوم التقى الجمعان هو يوم التقاء المسلمين بالكفار في غزوة بدر،وكانت في سبع عشرة خلت من رمضان.

ونسبته من القرآن 19 من30 جزءا من القرآن.

3- بدء النزول القرآني بالمدينة:

بدأ النزول القرآني بالمدينة المنورة في اليوم الأول من شهر ربيع الأول من السنة الرابعة والخمسين من ميلاد المصطفى ﷺ ، وانتهى في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة من السنة الثالثة والستين من ميلاده ﷺ. أي من بداية السنة العاشرة من هجرته.

فمدة النزول القرآني بالمدينة هي:تسع سنوات، وتسعة أشهر، وتسعة أيام. ونسبته من القرآن11 من 30 جزءا من القرآن[2].

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص168.

2- غازي عناية، مرجع سابق، ص ص168-169.

4- خصائص المكي والمدني

خصائص كلّ منها :

ذكرنا سابقا أن الآيات المكّية من القرآن، هي التي نزلت في صدر الإسلام وهي الفترة التي يحدّها من الزمن ثلاثة عشر عاما، أمضاها رسول الله ﷺ في مكة معذباً مضطهدا، يقابل الإيذاء والاضطهاد بالمسالمة، مع المضي في الدعوة إلى الحق الذي أوحي إليه.

وذكرنا أن الآيات المدنية، هي التي نزلت من بعد الهجرة، وهي الفترة التي يحدها من الزمن عشرة أعوام، بنى فيها رسول الله ﷺ الدولة الإسلامية حيث تكاملت مقوماتها الإدارية والدستورية والقانونية.

وعلى هذا، لذلك نجد خصائص كل من القسمين، مستمدة من طبيعة هاتين المرحلتين التي عاشها النبي ﷺ قائما بأمر الدعوة.

لذلك فإن الآيات المكّية تمتاز بواحد مما يلي :

- **ذكر قصص الأنبياء والأمم الخالية ودعوة الناس إلى الاعتبار بهم إلا ما يتعلق بالحديث عن مريم وعيسى عليه الصلاة والسلام وقصة ولادته، فقد نزل بعض ذلك في المدينة حجاجا لأهل الكتاب .**
- **المناقشة والحجاج وعرض الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعلى بعث الأجساد مع أرواحها من بعد الموت للحساب.**
- **تثبيت فؤاد الرسول ودعوته إلى الصبر على الأذى تأسيا بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين الذي بعثوا الدعوة الناس إلى هذا الدين ذاته .**
- **يغلب على الآيات المكّية أن تكون قصيرة ذات وقع معين في الأذن والنفس، تبعث على الرهبة والخشية وتشعر بمعنى الجلال والجبروت، كمعظم السور التي نقرأها في جزء تبارك وعم يتساءلون.**

فهذه الخصائص نجدها في الآيات المكّية وهي من طبيعة المرحلة التي كانت تمر بها الدعوة الإسلامية.

أما خصائص الآيات المدنية فهي ما يلي :

* **البحث في الأحكام والتشريعات المتعلقة بالعبادة والمعاملات والحدود وغيرها.**
* **الأمر بالجهاد والقتال والتعليق على الغزوات وما يتعلق بها من شأن الغنائم والأسرى والمنافقين.**
* **البحث في شؤون الحكم والشورى وضرورة الرجوع فيهما إلى الكتاب والسنة.**
* **يغلب على الآيات المدنية أن تكون طويلة فيها اللين والهدوء، ووعد المسلمين بالفوز والنصر [1]**

فتلك هي خصائص الآيات المدنية، وهي من طبيعة المرحلة الثانية التي مرت بها الدعوة الإسلامية .

وبهذا نستطيع أن نميز بين السور المكّية والمدنية من غير الرجوع إلى روايات العلماء والمفسرين في ذلك.

1- الزركشي،**البرهان**،مرجع سابق،1/ 189 ، بتصرف وزيادة .

فحسبنا أن نقرأ سورة البقرة ونطلع على ما تجمع فيها من أحكام الصيام والحج والوصية والقصاص والنكاح والرضاع والطلاق وغيرها لنعلم أنها سور مدنية. وحسبنا أن نقرأ سورة مثل سورة ق ونقف على ما فيها من الحجاج والنقاش مع المشركين وما فيها من الأدلة على وجود الله، وما ينبعث من جرسها وفواصلها وإيقاع اياتها من معاني الشدة والتهديد والجبروت، لنعلم أنها سورة مكّية[1].

5- فوائد العلم بالمكي والمدني:

- التمييز بين الناسخ والمنسوخ: ذلك أن الوقوف على مواقع النزول القرآني،يساعد على معرفة المتقدم،والمتأخر،من النازل من القرآن، ومن ثم معرفة الناسخ والمنسوخ،على اعتبار أن الناسخ هو المتأخر،والمنسوخ هو المتقدم.
- المعرفة لتاريخ التشريع وتدرجه: على اعتبارأن النزول المكي والمدني يؤصل تدرج التشريع تاريخا، وزمنا، ومكانا،مما يتيح الوقوف على تدرج الأحكام،ومعرفة السابق من نزول الاحكام من اللاحق منها.
- الإقبال على القرآن الكريم تلاوة، وحفظا، وفهما، وتفسيرا، وعملا، على اعتبارأنه الكتاب الالهي الوحيد المنزه عن الخطأ والنسيان والنقص.
- الفهم الصحيح لأسباب النزول، والسور القرآنية، على اعتبار أن العلاقة وثيقة بين مواقع النزول القرآني،وبين أسبابه من قصص، وحوادث، ووقائع، وأسئلة، مما ييسر بالتالي الفهم الأسمى،والعميق للآيات القرآنية.
- الكشف عن دلالات الأحكام، فمعرفة مواقع النزول القرآني زمانا وتاريخا ومكانا يساعد على الفهم السليم لمعاني الآيات، ودلالات الأحكام ومعرفة ما إذا كانت على سبيل العموم أم الخصوص، أو الوجوب أو الندب...
- الحل لإشكالات التفسير: الناجمة عن تعدد،أو غموض أسباب النزول القرآني،فإن الوقوف على مواقع النزول القرآني في مكة،أو المدينة يساعد على حل ما يشكل على الذهن من معاني الآيات.
- الوقوف على حقيقة عموم أو خصوص اللفظ والسبب: فمعرفة المكي والمدني ييسر الفهم الحقيقي،والعميق لدلالة اللفظ،ودلالة السبب،وما إذا كان اللفظ عاما،أو خاصا،وما إذا كان السبب عاما أوخاصا، ومن ثم معرفة ما إذا كانت العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب.
- الوقوف على الأساليب القرآنية في الدعوة، فالنزول المكي له أساليبه وأنماطه،وكذا النزول المدني مراعاة لأحوال الناس.
- الوقوف على حقيقة السيرة النبوية: وذلك بمتابعة سيرة النبي ﷺ وحوادث الناس طيلة النزول القرآني،وبالتالي الإحاطة على مراحل سير الدعوة الاسلامية سواء في مكة أو المدينة.
- الوقوف على حقيقة علم المكي والمدني ثوابا، وأجرا، ذلك أن هذا العلم ييسر للمسلم التبحر في علم من علوم القرآن،كما يساعد على فهم العلوم الأخرى لترابطها،مما يفتح أبواب الثواب[2].

1- البوطي، مرجع سابق،ص ص85-86-87 بتصرف.

2- غازي عناية، مرجع سابق، ص ص170-171 بتصرف.

المحاضرة 07: السياق التراتبي

أولا: أول وآخر ما نزل من القرآن

1- أول ما نزل من القرآن:

أول ما نزل من القرآن . للعلماء في ذلك أربعة أقوال :

القول الأول : وهو أصح الأقوال . إن أول ما نزل من القرآن هو أول خمس آيات من سورة العلق.

قال تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1 - 5).

أدلته، (وهي أحاديث مروية في معظمها عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها)، منها:

الحديث الأول: ما رواه الشيخان، وغيرهما عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث في الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله يتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة يتزود لمثلها، حتى جاء الحق"، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : إقرأ، قال : ما أنا بقاريء. قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقاريء. فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ،خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1 - 5).

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- فقال: زملوني زملوني ؛ فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»؛ فقالت خديجة: كلا والله، لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر».

الحديث الثاني: أخرج الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الدلائل» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول سورة نزلت في القرآن: اقرأ باسم ربك» .

القول الثاني: إن أول ما نزل: يا أيها المدثر .

أدلته، وهي حديث مروي عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه–.

روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل ؟ قال: يا أيها المدثر. قلت: أو: إقرأ باسم ربك ؟ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله: "إني جاورت بحراء، فلا قضيت جواري نزلت، فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو – يعني جبريل – فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة ، فأمرتهم، فدثروني[1]، فأنزل الله :

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (المدثر: 1-2)

القول الثالث: إن أول ما نزل من القرآن : سورة الفاتحة .

ومن أدلته ما أخرجه البيهقي في "الدلائل"، والواحدي من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمر عن أبيه عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: "إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، فقد والله، خشيت أن يكون هذا أمرا؛ فقالت: معاذ الله، ما كان الله ليفعل بك؛ فو الله، إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: إذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل؛ فانطلقا ، فقصا عليه؛ فقال: « إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد ، يا محمد، فأنطلق هاربا في الأفق» . فقال: لا تفعل. إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم أتاني، فأخبرني ، فلما خلا ناداه: يا محمد، قل: «بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين .

القول الرابع: أول ما نزل من القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم .

ومن أدلته:

أ خرج ابن جرير الطبري، وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «أول ما نزل جبريل على الرسول ﷺ قال : يا محمد، استعذ، ثم قل: "بسم الله الرحمن الرحيم» .

الترجيح بين الأقوال:

إن أصح الأقوال هو القول الأول، وهو أن أول ما نزل من القرآن الكريم هو أول خمس آيات من سورة العلق.

يسعفنا في ذلك:

1- الأحاديث الصحيحة المروية عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

1- السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، مرجع سابق، 1974، ص24.

فهذه الأحاديث كلها صحيحة، وسندها كذلك، وهي من الثقات المعتد بأحاديثها، وبسماعها من الرسول صلى الله عليه وسلم .

- أقوال العلماء مثل: الإمام السيوطي، وابن حجر، والزركشي، والقاضي أبو بكر، وغيرهم على أن القول الأول هو أصح الأقوال .

فالإمام ابن حجر يقول: الذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول ..

2- آخر ما نزل من القرآن :

للعلماء في ذلك عدة أقوال منها:

القول الأول :آخر ما نزل من القرآن : آية الربا . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **(البقرة : 278) .**

دليله. ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: «آخر آية نزلت آية الربا» .

القول الثاني: آخر ما نزل من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ **(البقرة : 281).**

دليله: ما رواه النسائي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير قالا : آخر شيء نزل من القرآن : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ **الآية.**

وما رواه الكرماني في البرهان: «وكان آخر الآيات نزولا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ **فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا ، والدين».**

القول الثالث: آخر ما نزل من القرآن آية الدين، وهي أطول آية في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا

تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 282).

دليله. ما روي عن سعيد بن المسيب : «أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين».

القول الرابع: آخر ما نزل من القرآن : آية الكلالة ؛ وهي آخر آية في سورة النساء .

قال تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: 176).

دليله. ما رواه الشيخان عن البراء بن عازب قال: «آخر آية نزلت : ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » الآية .

وحملت الأخروية هنا في قول البراء على أنها مقيدة بما يتعلق بالمواريث . أي أنها آخر آية نزلت من آيات المواريث .

القول الخامس: آخر مانزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: 195).

دليله: ما أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة أنها قالت : «آخر آية نزلت هذه الآية : وفاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم الخ. وذلك أنها قالت : يا رسول الله ، أرى الله يذكر الرجال ، ولا يذكر النساء !! فنزلت : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء: 32) ، **ونزلت:**

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ **(الأحزاب : 35) ، ونزلت هذه الآية ، فهي آخر الثلاثة نزولا ، وآخرما نزل بعدما كان ينزل في الرجال خاصة».**

فآية : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ **(آل عمران : 195).**

هي آخر الآيات الثلاث نزولا .

القول الثامن: آخر ما نزل من القرآن : آية المائدة. قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(المائدة : 3).**

دليله. ما رواه الترمذي، والحاكم عن عائشة رضي الله عنها- .

ويحمل هذا القول على أن آية المائدة هي آخر ما نزل من القرآن في الحلال ، والحرام .

وقد فهمت الأخروية بالنسبة لهذه الآية؛ لأن بها كمال الدين، وإتمام النعمة، والفرائض، والأحكام على المسلمين، وتحريم مكة على الكافرين .

وأيضا فقد فهمت الأخروية بالنسبة لهذه الآية؛ لأنها نزلت في حجة الوداع، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي بعد نزولها بإحدى وثمانين ليلة.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب أنه قرأ: واليوم أكملت لكم دينكم الخ . وكان معه يهودي ، فقال : لو نزلت علينا في يوم لاتخذناه عيدا ؛ فقال عمر : إنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد : يوم الجمعة ، ويوم عرفة .

القول التاسع: آخر ما نزل من القرآن سورة النصر .

قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ **.(النصر: 1- 3)**

دليله. ما أخرجه مسلم عن ابن عباس قال : «آخر سورة نزلت : وإذا جاء نصر الله والفتح» .

وحمل هذا على أن هذه آخر ما نزل من السور. وحمل هذا أيضا على أن هذه السورة كانت إشعارا بدنو أجل الرسول ﷺ ، وقد نزلت في أيام التشريق ، وهي : اليوم الثاني ، والثالث ، والرابع من أيام الحج أي لعيد الأضحى.

قال القرطبي في تفسيره : «قال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ، ثم نزلت : واليوم أكملت لكم دينك ، فعاش بعدها النبي ﷺ ثمانين يوما، ثم نزلت آية الكلالة ، فعاش بعدها خمسين يوما ، ثم نزل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، (التوبة: 128) فعاش بعدها خمسا وثلاثين يوما ثم نزل : {واتقوا يوما ترجون فيه إلى الله ، فعاش بعدها واحدا وعشرين يوما . وقال مقاتل : سبعة أيام» .

❖ **الترجيح بين الأقوال:**

يجمع معظم العلماء على أن آخر آية نزلت من القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: 281).

و قد رجح العلماء بأن آية : (واتقوا يوما) هي آخر ما نزل من القرآن إطلاقا ؛ وسندهم في ذلك :

1- إجماع أكثرية العلماء على أنها آخر ما نزل من القرآن قاطبة .

2- وفاة الرسول ﷺ بعد نزولها بتسع ليال ؛ ولم يثبت أن نزل القرآن في هذه المدة القصيرة من حياته.

3 - إن فحوى الآية ينبئ عن معاني الكمال ، والتمام ، والرضا ؛ ومن ثم ينيء عن التحذير ، والتنبيه ، ووجوب التقوى ، والعمل، والإستعداد ليوم الرجوع إلى الله تعالى للمحاسبة . وإذا كان فحوى آية المائدة : واليوم أكملت لكم دينه ينبئ عن الكمال ، والتام ، والرضا، فإن آية: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(البقرة: 281) بصورة أسمي، وأعظم تأثيرا عن الكمال الحقيقي للدين، وشرائعه، وتكاليفه، والتام الفعلي لنعمة الله، ورضائه على المسلمين، وغضبه على الكفار، حيث هزمهم الله، وحرم عليهم مكة[1].

1- غازي عناية، مرجع سابق، ص ص 154-166 بتصرف.

❖ **فوائد معرفة ذلك**[1] :

لمعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل فوائد أهمها:

- **بيان العناية التي حظي بها القرآن صيانة له وضبطا لآياته، فقد وعى الصحابة -رضي الله عنهم- هذا الكتاب آية آية، فعرفوا متى نزلت؟ وأين نزلت؟ حيث كانوا يتلقون عن رسول الله ﷺ ما ينزل عليه من القرآن تلقي المؤمنين لأصول دينهم، ومبعث إيمانهم، ومصدر عزهم ومجدهم، و من أثر ذلك سلامة القرآن من التغيير والتبديل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 09)**
- **إدراك أسرار التشريع الإسلامي في تاريخ مصدره الأصيل:فإن آيات القرآن الكريم عالجت النفس البشرية بهداية السماء، وأخذت الناس بالأساليب الحكيمة التي ترقى بنفوسهم في سلم الكمال،وتدرجت بهم في الأحكام التي يستقيم بها منهج حياتهم على الحق،وتنتظم شؤون مجتمعهم على الطريق الأقوم.**
- **تمييز الناسخ من المنسوخ: فقد ترد الآيتان أو الآيات في موضع واحد، ويختلف الحكم في إحداها عن الأخرى ، فإذا عرف ما نزل أولا وما نزل آخرا كان حكم ما نزل آخرا ناسخا لحكم ما نزل أولا.**

ثانيا: الناسخ والمنسوخ

1- تعريف النسخ لغة واصطلاحا:

النسخ لغة: يأتي بمعنى الإزالة، تقول العرب: نسخت الشمس الظل أي: أزالته -، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ **(الحج: 52) أي: يزيله ويبطله. ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه قولهم: نسختُ الكتاب، أي: نقلت ما فيه إلى كتاب آخر، ومنه قوله تعالى:** ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **(الجاثية: 29) ويأتي بمعنى التبديل، ومنه قوله تعالى:** ﴿إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **(النحل: 101)، وبمعنى التحويل، ومنه تناسخ المواريث من واحد إلى واحد، هذا من حيث اللغة.**

1- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 1995، ص 69.

أما في الشرع: فهو انتهاء الحكم وتبديله بحكم آخر، وقد عرّفه الفقهاء والأصوليون بتعريفات كثيرة نختار منها أخصرها وأجمعها، وهو ما قاله ابن الحاجب حيث قال في تعريفه رحمه الله: "النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر". قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 106)

2- سبب النزول لآية النسخ:

روي أن اليهود قالوا لبعضهم البعض: ألا تعجبون من أمر محمد؟ يأمر أصحابه بأمر، ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولا، ويرجع عنه غدا، فما هذا القرآن إلا من كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، ويناقض بعضه بعضا؟ فنزلت الآية الكريمة ردا على سفههم وجهلهم[1]، بقوله – تقدست أسماؤه – : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 106) ومعنى (نُنسِهَا): هو ما قاله ترجمان القرآن ابن عباس: أي نتركها فلا نبدلها، ولا ننسخها.

وقيل: هو من النسيان بمعنى الترك، أي: نتركها بدون تبديل.

3- حجية النسخ:

النسخ في الشريعة الاسلامية جائز عقلا، حادث سمعا، وهو واقع بإجماع المسلمين، خلافا لليهود، فإنهم أنكروا وقوعه، وقالوا: لم يحدث نسخ في الشرائع؛ لأنه يدل على الجهل، والله منزّه عن ذلك، ووافقهم على هذا القول(أبو مسلم الأصفهاني)، فقال: "إن النسخ في كتاب الله تعالى لم يحصل؛ لأن الله تعالى قال عن القرآن العظيم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42)، فلو جاز النسخ لكان قد أتاه الباطل".

واحتج جمهور العلماء على جواز النسخ ووقوعه بأن الدلائل القطعية دلت على نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم ، ونبوته، لا تصح إلا مع القول بنسخ شرع من قبله، وهذا دليل عقلي. وأما الوقوع فقد قالوا: إن النسخ قد حصل في الشرائع السابقة، وفي نفس شريعة اليهود، فإنه جاء في التوراة أن آدم – عليه السلام- أمر بتزويج بناته من بنيه، ثم قد حرم ذلك باتفاق[2].

❖ أدلة الجمهور:

استدل الجمهور على وقوع النسخ بحجج كثيرة، نوجزها فيما يلي:

1- الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي،بيروت، 1407 هـ ،131/1).

2- الرازي، **التفسير الكبير**، دار الفكر دمشق:1981، 227/3)

الحجة الأولى: أن الله تعالى قد صرح به في الآية الكريمة، وهي قوله سبحانه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **(البقرة: 106)، قالوا: فهذه الآية صريحة في وقوع النسخ.**

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ **(النحل: 101-102)، قالوا: إن هذه الآية واضحة كل الوضوح في تبديل الآيات والأحكام، والتبديل: يشتمل على رفع حكم وإثبات آخر، والمرفوع إما التلاوة وإما الحكم، وكيفما كان الأمر، فإنه رفع ونسخ، وهو ما دلت عليه الآية الكريمة.**

الحجة الثالثة: نسخ القبلة من بيت المقدس إلى بيت الحرام، وهو ظاهر لا يجادل فيه عاقل، فقد كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم في بدء الدعوة الاسلامية إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك الحكم، وأمر النبي ﷺ والمسلمون بالتوجه إلى البيت العتيق في مكة المكرمة بقوله تباركت أسماؤه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ **(البقرة: 144).**

وأخبر تبارك وتعالى بما سيقوله المنافقون، وأهل الكتاب من الطعن في القرآن وفي النبي ﷺ بسبب تركهم التوجه إلى بيت المقدس وصلاتهم نحو البيت الحرام، فقال جلت عظمته: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **(البقرة: 142).**

الحجة الرابعة: أن الله تعالى أمر المتوفى عنها زوجها بالاعتداد أربعة أشهر وعشرة أيام، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ **(البقرة: 234).**

وقد نسخت هذه الآية الحكم السابق وهو أن عدة المتوفى عنها زوجها حول كامل بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 240)، وهذا أمر معلوم عند كل مسلم بأن حكم الاعتداد للوفاة بعام كامل قد نسخ إلى أربعة أشهر وعشرة أيام.

وهكذا يظهر دليل الجمهور واضحا ساطعا كالشمس في رابعة النهار، بحصول النسخ في الشريعة الإسلامية الغراء، ولا عبرة بقول من أنكر النسخ لمعارضته للنصوص الصحيحة الصريحة.

كلام الامام القرطبي في جامع الأحكام:

قال العلامة القرطبي في تفسيره: "معرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء؛ لما يترتب عليه النوازل من الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، وقد أنكرت طوائف من المتأخرين، المنتمين للإسلام جوازه، وهم محجوجون بإجماع السلف على وقوعه في الشريعة...، ثم قال –رحمه الله-: "لا خلاف بين العلماء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية، وإنما كان يلزم البداء – أي ظهور الحكمة بعد خفائها – لمن لم يكن عالما بمآل الأمور، وأما العالم بذلك فإنما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح، كالطبيب المراعي أحوال العليل، فراعي ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته، لا إله إلا هو، فخطابه يتبدل، وعلمه وإرادته لا تتغير، فإن ذلك محال في جهة الله تعالى"[1].

4- شروط النسخ:

لا يتحقق النسخ إلا بتوافر الشروط التالية:

- أن يكون المنسوخ حكما شرعيا،فلا نسخ في الأخبار،وإنما يكون النسخ في الأمر والنهي ولو جاء في صيغة الخبر،فالعبرة بالمعنى والمضمون.
- أن يكون الناسخ خطابا شرعيا،فلا نسخ بالدليل العقلي ولا العرفي.
- أن يكون الناسخ متراخيا عن دليل الحكم المنسوخ،غير متصل به اتصال القيد بالمقيد.
- ألا يكون الخطاب المرفوع حكما مقيدا بوقت معين.
- أن يكون بين الدليلين تعارضا حقيقيا، بحيث لا يكون الجمع بينهما بحال إلا بارتفاع أحدهما[2].

5- أقسام النسخ في القرآن الكريم:

ينقسم النسخ إلى ثلاث أقسام:

1- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 57/2،

2- فضل عباس، **محاضرات في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص206.

الأول: نسخ التلاوة والحكم معا.

الثاني: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

الثالث: نسخ الحكم مع بقاء التلاوة.

أما **الأول**: وهو: "نسخ التلاوة والحكم"، فلا تجوز قراءته ولا العمل به؛ لأنه قد نسخ بالكلية، كآية التحريم بعشر رضعات، فقد روي عن عائشة –رضي الله عنها- أنها قالت: كان فيما نزل من القرآن "عشر رضعات معلومات يحرِّمن"، فنسخن بخمس رضعات معلومات، فتوفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وهن فيما يقرأ من القرآن[1].

وأما الثاني: وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، فهو كما قال الزركشي في "البرهان في علوم القرآن": يعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول، كما روي في سورة النور "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله، والله عزيز حكيم"، قال عمر –رضي الله عنه- "ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي"[2].

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي بن كعب –رضي الله عنه- أنه قال: "كانت سورة الأحزاب توازي سورة النور- يعني في الطول -، ثم نسخت آيات منها".

وهذان النوعان "نسخ الحكم والتلاوة" و "نسخ التلاوة مع بقاء الحكم" قليل جدا في القرآن الكريم، ونادر أن نجد فيه مثل هذا النوع؛ لأن الله سبحانه أنزل كتابه المجيد؛ ليتعبد الناس بتلاوته وبتطبيق أحكامه.

وأما الثالث: وهو "نسخ الحكم مع بقاء التلاوة"، فهو كثير في القرآن الكريم، وهو كما قال الزركشي: في ثلاث وستين سورة، ومن أمثلة هذا النوع آية الوصية للوالدين نسخت بآية المواريث، وآية العدة بحول كامل نسخت بآية العدة بأربعة أشهر وعشرة أيام، وآية الفدية في الصوم للقادر نسخت بآية وجوب الصوم، وتقديم الصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ ، والكف عن قتال المشركين، كل ذلك نسخ بآيات في القرآن الكريم واضحات الدلالة والحكم.

وقد ألّف الشيخ (هبة الله بن سلامة) رسالة في "الناسخ والمنسوخ" جاء فيها ما نصه: "اعلم أن أول النسخ في الشريعة: أمر الصلاة، ثم أمر القبلة، ثم الصيام ليوم عاشوراء، ثم الإعراض عن المشركين، ثم الأمر بجهادهم، ثم أمره بقتل المشركين، ثم أمره بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، ثم ما كان أهل العقود عليه من مواريث، ثم هدم منار الجاهلية؛ لئلا يخالطوا المسلمين في حجهم..." إلى آخر ذلك.

❖ الحكمة من نسخ الحكم مع بقاء التلاوة؟

1- الحديث أخرجه مسلم في الرضاع برقم 1452، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ومعناه: أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله، حتى توفي رسول الله وبعض الناس يقرؤوه؛ لأنه لم يبلغه النسخ لقرب عهده.

2- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه.

أما الحكمة من ذلك، فقد بيّنها العلامة الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، فقال: "وهنا سؤال، وهو أن يسأل: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القرآن كما يتلى؛ ليعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه كذلك يتلى؛ لكونه كلام الله عز وجل، فيثاب على تلاوته، فتركت التلاوة لهذه الحكمة.

وثانيها: أن النسخ غالبا يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيرا بالنعمة، ورفع المشقة، حتى يتذكر المسلم نعمة الله عليه بتيسير الدين"[1].

6- الحكمة التشريعية العامة من النسخ:

جاءت الشريعة الاسلامية الغراء، محققة لمصالح الناس، متمشية مع تتطور الزمن، صالحة لكل زمان ومكان من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن سنّ لهم سنة "التدرج في الأحكام"؛ لتبقى النفوس على أتم استعداد؛ لتقبل تلك التكاليف الشرعية برضى وقناعة وطمأنينة، فلا تشعر بملل أو ضجر، ولا تشعر بمشقة أو شدة، ولتظل الشريعة الغراء – كما أرادها المولى جل وعلا – شريعة سمحة، سهلة، يسيرة، لا عسر فيها ولا تعقيد، ولا شطط فيها ولا إرهاق، تحقيقا لقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 185)، وقوله جل ثناؤه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: 78).

ومن المعلوم أن الأحكام وما شرعت إلا لمصلحة العباد، وهذه المصلحة تختلف باختلاف الزمان والمكان، فإذا شرع حكم في وقت من الأوقات، وكانت الحاجة ملحّة إليه، ثم زالت تلك الحاجة، فمن الحكمة نسخه وتبديله بحكم يوافق الوقت الآخر، فيكون هذا التبديل والتغيير محققا للمصلحة، مؤديا للغاية، نافعا للعباد، وما مثل ذلك إلا كمثل الطبيب، الذي يغير الأغذية والأدوية للمريض باختلاف الأمزجة والقابلية والاستعداد.

والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، هم "أطباء القلوب"، ومصلحو النفوس، لذلك جاءت شرائعهم مختلفة، تبعا لاختلاف الأزمنة والأمكنة، وجاءت بسنة "التدرج في الأحكام"؛ لأنها بمثابة الأدوية

1- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص 111.

والعقاقير للأبدان(□)، فما يكون منها في وقت مصلحة، قد يصبح في وقت آخر مفسدة، وما يصلح لأمة لا يصلح لأخرى، وتلك هي حكمة العليم الحكيم، الذي شرع لكل زمان ما يصلح له.

كلمة لطيفة في النسخ للقاسمي:

وجاء في التفسير المسمى "محاسن التأويل" للشيخ (جمال الدين القاسمي): كلمة بديعة ننقلها هنا لجمالها، يقول الشيخ رحمه الله: "إن الخالق تبارك وتعالى ربّى الأمة العربية في ثلاث وعشرين سنة تربية تدريجية، لا تتم لغيرها – بواسطة الفواعل الاجتماعية – إلا في قرون عديدة، لذلك كانت عليها الأحكام على حسب قابليتها، ومتى ارتقت قابليتها بدّل الله ذلك الحكم بغيره، وهذه سنة الخالق في الأفراد والأمم على حد سواء، فإنك لو نظرت في الكائنات الحية، لرأيت أن النسخ ناموس طبيعي محسوس في الأمور المادية والأدبية معا، فإن انتقال الخلية الإنسانية إلى الجنين، ثم إلى طفل، فيافع، فشاب، فكهل، فشيخ، وما يتبع كل دور من هذه الأدوار، يريك بأحلى دليل: أن التبدل في الكائنات ناموس طبيعي محقق، وإذا كان هذا النسخ ليس بمستنكر في الكائنات، فكيف يستنكر نسخ حكم وإبداله بحكم آخر في الأمة، وهي في حالة نمو وتدرج من أدنى إلى أرقى؟

هل يرى الانسان له مسكة من عقل أن من الحكمة تكليف العرب – وهم في مبدأ أمرهم – بما يلزم أن يتصفوا به، وهم في نهاية الرقي الإنساني وغاية الكمال البشري؟ وإذا كان هذا لا يقول به عاقل في الوجود، فكيف يجوز على الله – وهو أحكم الحاكمين – بأن يكلف الأمة وهي في دور "طفوليتها" بما لا تتحمله إلا في دور "شبوبيذتها، وكهولتها"....؟

وأي الأمرين أفضل؟ أشرعنا الذي سنّ الله لنا حدوده بنفسه، ونسخ منه ما أراد بعمله، وأتمّه بحيث لا يستطيع الإنس والجن أن ينقصوا حرفا منه؛ لانطباقه على كل زمان ومكان، وعدم مجازفته لأية حالة من حالات الانسان؟ أم شرائع دينية أخرى، حرّفها كُهّانُها، ونسخ الوجود أحكامها – بحيث يستحيل العمل بها –؛ لمنافاتها لمقتضيات الحياة البشرية من كل وجه[2]...؟

2- جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، ط الحلبي، مصر،1957، 219/2.

المحاضرة 08 : السياق التداولي: القراءات القرآنية

أولا. تعريف القراءات

- لغة: القراءات جمع مفرده قراءة، وأصل مادتها تعود إلى(ق ر ي)، و هو أصل صحيح يدل على جمع و اجتماع، ومنه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام و القصص وغير ذلك . قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة 17) والقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا فهي مصدر من قولك قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض[1] وفي اللسان جاء معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أي ألقيته[2]

اصطلاحا: ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة، منها:

-تعريف (ابن الجزري): "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها بعزو الناقلة"[3]

-تعريف (القسطلاني) : " علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله و اختلافهم في اللغة و الإعراب والحذف والإثبات و التحريك و الإسكان والفصل والاتصال"[4]

-تعريف (عبد الفتاح القاضي) : "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا و اختلافا مع عزو كل وجه لناقله. "

-تعريف (الزر قاني) : "مذهب، يذهب إليه إمام من الأئمة مخالفا به غيره، في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات و الطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أو في نطق هيئاتها"[5]

ثانيا: أقسام القراءات

تعدّدّت تقاسيم العلماء لها، ولعل التقسيم الذي عليه أكثر المتأخرين تقسيمها إلى قسمين اثنين مجمع عليهما باختلاف في التعبير عنهما بين العلماء و هما القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة.

أ- القراءة الصحيحة:

قال (ابن الجزري):" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو

1- الأزهري، **تهذيب اللغة**، ط1، ج9، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ص271.
2- ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 2003، ص129.
3- ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص3.
4- القسطلاني، **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، وزارة الأوقاف السعودية، 1434هـ/ص123.
5- عبد الفتاح القاضي، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2002، ص15.

شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة، أم عمّن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عن أئمة السلف والخلف"[1]

يفهم من تعريف ابن الجزري هذا أن للقراءة الصحيحة ثلاث شروط تتمثل في ما يلي:

- ✓ موافقة اللغة العربية ولو بوجه .
- ✓ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- ✓ صحة السند.

وتطبيق معايير القراءة الصحيحة السابقة على القراءات القرآنية يدخل كثيرا من القراء ات غير السبعية في القراءات الصحيحة و يخرج عددا من القراءات السبعية من الصحية إلى الشذوذ، يؤكد ذلك ما روي عن القراء السبعة من قراءات وصفت بأنه شاذة، فقد ذكرت بعض الإحصائيات أن (حمزة الزيات) رويت عنه ثلاث روايات وصفت بالشذوذ، و(الكسائي) رويت عنه سبع روايات، ونافع بن أبي نعيم رويت عنه تسع روايات، وعبد الله بن عامر رويت عنه اثنتا عشرة رواية، وعبد الله بن كثير روايات عنه ستة عشيرة رواية ، وعاصم بن أبي النجود رويت عنه خمس وعشرون رواية ، وأبو عمرو بن العلاء رويت عنيه ستون رواية، ولا شك أن هذا الشذوذ لم يتطرق إليها بسبب مخالفتها للرسم، أو انحرافها عن العربية، ولكن بسبب ضعف الرواية[2]

ب- القراءة الشاذة:

مفهوم الشاذ: الشاذ مشتق من مادة (ش ذ ذ)، وهو مصدر من شذ يشذ شذوذا، تقول شذ الرجل إذا انفرد عن القوم و اعتزل جماعتهم[3]

فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة والتفرق والخروج على القاعدة والأصول؛ فكل شيء منفرد فهو شاذ[4].

والشاذ في الاصطلاح يختلف مفهومه حسب كل علم، فهو عند النحاة غيره عند علماء السنة، ويختلف عنهما لدى علماء القراءات.

فالقراءات الشاذة هي التي تقابل القراءات المتواترة، وعرفت بأنها "من فقدت ركنا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة"[5]. كما عرفت بأنها كل قراءة بقيت وراء مقياس (ابن الجزري) الذي قال :

1- ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، المطبعة التجارية الكبرى، 2009، ص197.
2- السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، مرجع سابق،ص194.
3- ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص332.
4- ابن الجني، **الخصائص**، عالم الكتب، بيروت، ط3، ج1، 1982، ص96.
5- السيوطي، **الاتقان**، مرجع سابق، ص198.

"ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم". [1]

ولعل التعريف الذي تطمئن إليه النفس في تعريف القراءة الشاذة هو القراءة التي صح سندها ووافقت اللغة العربية ولو بوجه و خالفت المصحف، وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية في الفتاوى و ابن الجزري في النشر[2]. وبهذا يعلم أن القراءة الشاذة عند الجمهور هي ما لم يثبت بطريق التواتر، ولعل السبب في تسميتها بالقراءة الشاذة يعود إلى أنها شذت عن الطريق الذي نقل به القرآن، حيث نقل بجميع حروفه نقلا متواترا.

ثالثا: القراءات القرآنية والمعنى.

من المعلوم أن الهدف الرئيس من تعدد القراءات و اختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة في قراءة كتاب ربها عز وجل.يقول (ابن الجزري) عند حديثه عن الأحرف السبعة" فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها و التهوين عليها ... و توسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيّها". وبعد أن استشهد (ابن الجزري) ببعض الأحاديث الصحيحة استمر في بيان الحكمة قائلا: " إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق: أحمرها وأسودها، عربيّها و عجميّها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم و العلاج، ولا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم و الانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع... ".

ويشير إلى ذلك قوله في طيبة النشر[3]:

وأصل الاختلاف أن ربنا أنزله بسبعة مهوِّنا

أي مُهونا على قارئيه ورافعا الحرج عليهم.

ولكن إلى جانب هذا الهدف احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تميزه وسموه للكتب السماوية الأخرى وعلى النصوص البشرية النثرية و الشعرية على حد سواء، مما أستحق أن يتصف هذا القرآن بالإعجاز. وكان من بين هذه الجوانب جانب تعدد المعاني بتعدد القراءات، إذ كل قراءة زادت معنى جديد لم تبينه أو توضحه القراءة الأخرى[4]، وبهذا اتسعت المعاني بتعدد القراءات، إذ تعدّدّ القراءات يقوم مقام تعدد الآيات القرآنية.

1- ابن الجزري، مرجع سابق، ص 9.

2- ابن تيمية، **مجموع الفتاوى الكبرى**، ج 13، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1995، ص393.

3- ابن الجزري، مرجع سابق، ص22.

4- الزركشي، مرجع سابق، ص327.

وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها، ولكن من غير تناقض أو تباين في المعاني، وإن وجدت قراءتان بمعنيين مختلفين لا نقدح في واحدة منهما ، ولا نفضل إحداهما على الأخرى. يقول (القرطبي) في ذلك: "... وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال، إحداها أجود من الأخرى، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها .."[1] ويقول عند حديثه عن القراءات الشاذة "وإن لم يثبت كونه قرآنا فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الآحاد[2]

كما أن القرآن الكريم تزل بلغة العرب التي عرفت بالمعاني الكثيرة للفظ الواحد أو العبارة الواحدة، وهذا من الخصائص التي تميزت بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات

وقد ذكر غير واحد من العلماء[3] أن اختلاف القراءات القرآنية مردّه إلى ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى الواحد ؛ كاختلافهم في قوله تعالى: (الصراط، وعليهم و يؤده، و القدس، وبحسب)، ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط ، فالكلمة الأولى تقرأ بالسين والصاد والزاي، والثانية عليهم، وإليهم ولديهم، بضم الهاء مع إسكان الميم و بكسر الهاء مع ضم الميم و إسكانها و الثالثة و يؤده إليك، ونؤته منها، وفألقه إليهم، بإسكان الهاء و بكسرها مع صلتها واختلاسها، ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتحقيقه و شبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط .

فاختلاف الألفاظ في هذه الكلمات لم يؤد إلى اختلاف المعنى، وإنما في المعنى نفسه في تلك الكلمات،

الثاني: اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، نحو قوله تعالى: (مالك، وملك) في الفاتحة، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى، لأنه مالك يوم الدين و ملكه، وكذلك في قوله تعالى: (يكْذبون (بسكون الكاف)، ويكَذبون (بفتح الكاف) لأنهم يكذبون في أخبارهم ، ولأنهم يكذبون بالنبي: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ "

الثالث: اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد : وذلك نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ **(يوسف: 110)**

حيث قرئ بالتشديد و التخفيف في لفظ كذبوا هكذا كُذبوا (بضم الكاف)، و كذِبوا، (بكسرة الذال)، فأما وجه التشديد فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، وأما وجه التخفيف فالمعنى و

1- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ص291.
2- المرجع السابق، ج1، ص47.
3- أبو عمرو الداني، **الأحرف السبعة للقراءات**، دار المنارة جدة، 1997، ص ص 47-49.

توهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم - أي كذبوا عليهم- فيما أخبر و هم به ، فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك و الضمائر الثلاثة للمرسل إليهم .

فإن ذلك كله وإن اختلف لفظا ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه أخر يمتنع فيه التضاد و التناقض .

رابعا: الاستشهاد بالقراءات القرآنية

قد حظيت القراءات القرآنية باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام إلى يومنا هذا، فقد تجرد عدد كبير من علماء المسلمين لخدمة هذا القرآن و قراءته، وسطروا كل ما جادت به عقولهم و أفكارهم في مؤلفاتهم حتى أصبحت مفخرة المسلمين ومضان الدارسين من بعدهم في الدرس والتأليف .والمتأمل في الدرس اللغوي العربي يجده قد تأثر تأثرا واضحا بهذه المؤلفات ، إذ لا يكاد يخلو كتاب في أصوات العربية وصرفها و نحوها و مادتها المعجمية و اللغوية من جملة كبيرة من القراءات وما يتصل بها من مسائل مثلت القواعد والضوابط التي أصلت للغة العربية من حيث مفرداتها وأساليبها.

وقد بذل العلماء جهدا فائقا لخدمة القرآن بمختلف قراءاته المتواترة والشاذة، فوجهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة ، وقد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية و الصرفية، وضبط مفردات اللغة[1].

ومن المعلوم أن للقراء ات الصحيحة شروطا ومعايير تجعلها مقبولة، وقد اعتمدها النحاة واللغويون والبلاغيون وغيرهم، واستنبطوا منها الأصول التي بنوا عليها علومهم، وما خالف شروط القراءة الصحيحة عدّوه شاذا، وقد وضع كثير من هؤلاء اللغويين أو النحويين شرطا واحدا لصحة الاستشهاد بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى لو كان فردا ،سواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الآحاد، وسواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة. بل إن (ابن جني) في كتابه "المحتسب" كان حريصا على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع القراءة المتواترة، وذلك عندما عرف كلا من القراءة الصحيحة والشاذة بقوله إن من القراءات: "ضربا اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة، وهو بشهرته غان عن تحديده، وضربا تعدى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذة، أي: خارجة عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائته، محفوف بالرواية من أمامه و ورائه. ولعله أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، و تعنف بغيره فصاحته و ترسو به قدم إعرابه[2]

1- محمد شعبان صلاح، **مواقف النحاة من القراءات القرآنية**، حار غريب القاهرة، ط1، 2005، ص9.
2- ابن جني، **المحتسب**، مطابع الأهرام، القاهرة، ط1، 1994، ص32.

فالقراءات المتواترة والشاذة حجة عند أهل العربية، وإن كانت الأولى أعلى قدرة وهذا تدخل القراءات القرآنية بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس الأدبي واللغوي والبلاغي وتقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم، و الحديث الشريف، والشعر الجاهلي والإسلامي و مأثور النثر من حكم وأمثال وخطب في صحة الاستشهاد ها والاستناد إليها ، وفي إمكانية اتخاذها مرتكزا لتحقيق التيسير.

خامسا:فوائد الاختلاف في القراءات[1]:

- الدلالة عي صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.
- التخفيف على الأمة و تسهيل القراءة عليها،خاصة الأمة التي نزل فيها القرآن فإنها كانت قبائل كثيرة مختلفة اللهجات ونبرات الأصوات.
- إعجاز القرآن في إيجازه،حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ.
- فيه وجه إعجاز،إذ تنوع القراءات يقوم تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة يتمثل في الايجاز مع الإعجاز.
- فوائد نحوية وبلاغية في تنوع القراءات[2].

سادسا: تاريخ القراء [3]

يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة-رضي الله عنهم- فقد اشتهر بالإقراء عدد كبير منهم تلقوه مشافهة من الرسول ﷺ وتلقاه عنهم عدد كبير من التابعين بالمشافهة أيضا.

وقد ذهب الإمام(الذهبي)-رحمه الله- أن المشتهرين بإقراء القرآن من الصحابة سبعة،هم:

- عثمان-رضي الله عنه-
- على بن أبي طالب -رضي الله عنه-
- أبي بن كعب -رضي الله عنه-
- عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-
- زيد بن ثابت -رضي الله عنه-
- أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-
- أبو الدرداء عويمر بن زيد —رضي الله عنه-
- ثم قال -رحمه الله- " فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ وأخذ عنهم

1- مناع القطان، مرجع سابق، ص 170. بتصرف .
2- عبد الحليم قابة، **القراءات القرآنية**، دار الغرب الاسلامي، 1999، ص 67.
3- بليح، مرجع سابق، ص39.

عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة."

وأخذ عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين في كل بلد من بلاد المسلمين.

واشتهرسبعة من القراء هم:

- ابن عامر8-118 هـ بالشام.
- ابن كثير45-120هـ بمكة.
- عاصم بن أبي النجود ت127هـ بالكوفة.
- أو عمرو بن العلاء 68-154هـ.
- نافع 70-169هـ إمام المسجد النبوي.
- حمزة بن حبيب 80-158هـ.
- الكسائي119-189هـ وكان من أعلم الناس بالنحو.

المحاضرة 09 : مناهج التفسير ونقدها

أولا: معنى التفسير والتأويل والشرح

❖ التفسير لغة: هو مصدر فسر،يفسر تفسيرا، وهو من الفسر أي البيان.قال (الزبيدي):" الفسرالإبانة وكشف المغطى"[1]

وقد جاءت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم،في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾. (الفرقان: 33)

فقولنا :فسربمعنى: بين ووضح،وكلام مفسر:أي واضح ظاهر.

فالتفسير في اللغة يدل على البيان والكشف والتفصل.

- التفسير اصطلاحا: عرفه(الزركشي) بقوله:" علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه،واستخراج أحكامه وحكمه"[2]
- التأويل لغة: مصدر أول تأويلا من الأول وهو الرجوع،فكأن المفسر أرجع الآية إلى ماتحتمله من المعاني.
- التأويل اصطلاحا: هو عند المتقدمين بمعنى التفسير،قال(ابن جرير الطبري) في تفسيره:" القول في تأويل قوله تعالى كذا... واختلف أهل التأويل في هذه الآية..."يريد بذلك أهل التفسير.

وذهب فريق من العلماء إلى أن بين(التفسير والتأويل) فرقا جليا:

- التفسير أعم من التأويل،وأن التفسير في الألفاظ،والتأويل في المعاني والجمل.
- التفسيربيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا،والتأويل بيان لفظ يحتمل وجوها منها بما ظهر من الأدلة.
- التفسير بيان وضع اللفظ حقيقةأو مجازا،كتفسير الصراط بالطريق، والتأويل باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر.
- التفسير هو المعنى الظاهر من الآية الكريمة،وفهو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتمل عدة معان.

1- الزبيدي، **تاج العروس**، ج7، طبعة الكويت، 2008، ص349.

2- الزركشي، **البرهان**، ج1، مرجع سابق، ص13.

- التفسيرهو كشف معاني القرآن الظاهرة،والتأويل ما استنبطه العلماء العارفون من المعاني الخفية والأسرار الربانية اللطيفة التي تحملها الآية الكريمة[1].
- العلاقة بين الكلمتين، العموم والخصوص المطلق، فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويل[2]

- الشرح لغة: الكشف،نقول شرح الغامض أي فسره، وشرح الكلام أوضحه وفسره[3]
- الشرح اصطلاحا: هو بيان المشروح، وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور، لهذا لا يستعمل في القرآن الكريم، ويستعمل في الكتب الأخرى.
- وبمفهوم أخر:هو علم قائم على درس نص كتابي، وايضاح معناه حسب قواعد النقد العلمي،وفقه اللغة،والتقليد العقائدي، وبيان ما هو غامض فيه،أو ما هو مدعاة للجدل.
- أو هو توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة[4].

ثانيا: الحاجة إلى علم التفسير

- المعرفة بمراد الله تعالى قدر الطاقة البشرية فيما يشرع لعباده من أوامر ونواه يستقيم عليها حال العباد.
- المعرفة بأحكام الله الشرعية في كل المجالات،مما يحقق الحياة الطيبة للناس في الدنيا والفوز في الآخرة.
- إدراك أوجه الإعجاز في القرآن، تقوية للإيمان، وتقربا إلى الله تعالى.
- عبادة الله على أحسن وجه، وتزكية الروح وتنوير العقل.
- يشمل علم التفسير على معارف شتى عن علوم القرآن، وعلوم العربية،وعلوم الشريعة،مما يزود دارس تفسير القرآن ثقافة واسعة متنوعة[5].
- أسلوب القرآن الكريم يصلح أن يخاطب به كل طبقات الناس على اختلاف مداركهم وثقافاتهم.
- القرآن الكريم محاط بسور من الرهبة والجلال يمنع قارئه أن يسرع فيقتحم إليه بالشرح والتفسير كما يشرح الكتب الأخرى، وإنما الشأن أن يتوسط إلى ذلك بما قد أثر من تفسير النبي ﷺ له أو أثر من تفسيرات الصحابة رضوان الله عليهم،فهو الذي أوحى إليه القرآن مباشرة، وهو الذي أمره عزو جل بأن يبين للناس ما نزل إليهم.

1- محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، ط3، مكتبة رحاب، الجزائر، 1986، ص62.
2- البوطي، **من روائع القرآن**، مرجع سابق، ص71.
3- لويس معلوم، **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، بيروت، ط19، 1988،
4- توفيق أوسهلة، **طرق التفسير في المعجم الوسيط**، مذكرة ماستر، جامعة تلمسان، 2014، ص21.
5- عبد الحي الفرماوي، **مقدمة تفسير الجلالين**، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة،ص9.

- يحوي القرآن بين دفتيه مبادئ العقيدة والشريعة، والتوجيهات، وأخبار الماضين، بتركيز واختصار، والتفسير يستجيب للتفصيل والشرح.
- لا يقتصر تفسير القرآن على شرح الكلمة وترجمتها، وإنما يتعدى ذلك إلى وجوه وأنواع من الاستنباطات المتعلقة بدقائق المباحث والعلوم، يعكف عليها أرباب الاختصاصات بالدرس والبحث والتفسير، حسب وجهاتهم واختصاصاتهم[1].

ثالثا: منزلة علم التفسير

قد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية (التفسير والحديث والفقه).

قال (الأصبهاني): "أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن.بيان ذلك: أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها.. وإما بشرف غرضها.وصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث.أما من جهة الموضوع، فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة،ومعدن كل فضيلة، " فيه نبأ ما قبلكم،وخبر ما بعدكم،وحكم ما بينكم،لا يخلق من كثرة الرد،ولا تنقضي عجائبه". وأما من جهة الغرض، فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى. وأما من جهة شدة الحاجة، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى" [2].

رابعا: شروط المفسر(العلمية والذاتية)

- سلامة العقيدة.
- التجرد من الهوى، لأن الهوى قد يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلا.
- العلم بأصول التفسير نحو علم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وغيرها.
- العلم بالحديث رواية ودراية، ذلك أن السنة تفسر القرآن وتبينه.
- العلم بأصول الدين، وهو علم التوحيد.
- العلم بأصول الفقه، فبه يعرف كيفية استنباط الأحكام الشرعية من الآيات، ويستدل عليها، ويعرف الاجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد...
- العلم باللغة العربية وعلومها، ذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين[3].

1- البوطي، مرجع سابق، ص ص71 -72، بتصرف.
2- السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، 4 مرجع سابق، ص173.
3- بليح، مرجع سابق، ص 46-47، بتصرف.

- التزام القول بما ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير شيئ من من كتاب الله،إذا كان فيه حديث ثابت صحيح، قالوا: ولكن ينبغي الحذر من الوقوع في الضعيف والموضوع أيضا،وقد بين العلماء ذلك وميزوه.

وعلى هذا المعنى ورد عن رسول الله ﷺ قوله:" من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" رواه الترمذي.

- التزام الأخذ بقول الصحابة إذا كان قد أثر عنهم في ذلك قول،وهذا ما ذهب إليه الأكثر من أن تفسير الصحابة للقرآن يعتبر في حكم المرفوع إلى النبي،وذلك لأنه ليس من قبيل الرأي،وإنما هو في الحقيقة من قبيل الرواية.
- التزام قواعد اللغة العربية وضوابطها ومقاييسها في التفسير.فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين،وإنما تفسره الدلالات اللغوية والقواعد العربية، فمن لم يكن ذا بصيرة سليمة في فهم العربية فليس له أن يفسر شيئا من كتاب الله عز وجل.روى (البيهقي) في شعب الايمان عن مالك بن أنس قال: "لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب،يفسر كتاب الله تعالى، إلا جعلته نكالا."
- التزام المقتضى الذي يدل عليه العلم بكتاب الله تعالى، والتزام أصول الشرع وقواعده في الفهم والاستنباط والاجتهاد كالمفهوم والفحوى ودلالة العام والخاص والمطلق والمقيد،وهي في مجموعها إنما تعتبر ملكة علمية تؤهل صاحبها لاستنباط المعاني والأحكام من كتاب الله عزو جل[1].

خامسا: تاريخ التفسير

نشأ التفسير مع نزول القرآن، وكان أول من تولى ذلك هو رب العزة نفسه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(القيامة: 19)، فقد كانت بعض الآيات تنزل وفيها بعض الاجمال فتنزل آية أخرى تتولى بيانها وتفصيلها.

ثم أمر سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ببيان ما أنزل إليه من القرآن،فقال: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44)

وكان عليه الصلاة والسلام هو المصدر الأول لفهم كتاب الله وتبيينه.ولا بد أن النبي ﷺ بين لأصحابه سائر معاني الكتاب كما بين لهم ألفاظه وطريقة تلاوته[2].

أما الصحابة-رضي الله عنهم-فهم الطبقة الأولى في تاريخ علماء التفسير،وهم الأساس والأصل اللذان قامت عليهما نشأة علم التفسير.

1- البوطي، مرجع سابق، ص ص 78-79.
2- السيوطي، **الاتقان**، مرجع سابق،178/3.

وكان على رأسهم (ابن عباس) رضي الله عنها المتوفى سنة 68 هجرية، وقد روى عنه في التفسير ما لا يكاد يحصى كثرة ، وقد سماه (ابن مسعود):ترجمان القرآن.

ومنهم الخلفاء الراشدون، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت،وأبو موسى الأشعري.. الخ

وكان التفسير عند هذه الطبقة معتمدا على الرواية والأداء بالنطق والمشافهة فقط، ولم يكن شيء منه يكتب على عهدهم، إلا القرآن والحديث.

أما الطبقة الثانية من علماء التفسير، فهي طبقة التابعين، منهم: مجاهد بن جبر،وسعيد بن جبير، والشعبي، الحسن البصري..وكانوا يعتمدون على الرواية عن الصحابة، فكانوا يروون عنهم التفسير إلى جانب ما يروونه من الحديث والفقه، ولكنهم اشتهروا بالمزيد من العناية بكتاب الله، منهم مجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري. كما ظهرت عند بعض هذه الطبقة الكتابة والتدوين.

أما الطبقة الثالثة، فقد قام علماؤها بتدوين وتأليف تفاسير واسعة تجمع ما انتهى إليهم من أقوال الصحابة والتابعين، ومن مثل هؤلاء:

- تفسير سفيان بن عيينة، ت198هـ.
- وكيع بن الجراح،ت197هـ.
- شعبة بن الحجاج،ت160هـ.

وغيرهم كثير. ثم جاء في أعقابهم (محمد بن جرير الطبري، ت310هـ) فجمع أشتات هذه التفاسير،وقرب منها البعيد، وهو تفسير عظيم جمع فيه المأثور بالسند وميز بين الصحيح منه وغيره، وأصبح مستند هاما لسائر المفسرين بعده.

ولقد امتاز عمل هذه الطبقة من المفسرين بجمع ما انتهى إليهم من أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرآيات القرآن، في مؤلفات منسقة، مع ضبط الرواية عن الصحابة، والاعتماد على أهل الثقة من التابعين. ثم أضافوا إلى ما نقلوه عن الصحابة والتابعين زيادات واستنباطات توسعوا فيها،منها ما يتعلق بالعربية،ومنها ما يتعلق بالقراءات، والفقه، وأحكام الحلال والحرام،مع الالتزام بقواعد التفسير وشروطه.

ولقد كان علم التفسير خلال هذه المراحل الثلاث يضم كل ما يتعلق بفهم القرآن، وكشف أسراره، وما يتعلق به من قراءات، وأسباب النزول، وناسخ ومنسوخ، ومتشابه..

المحاضرة 10 : التفسير بالمأثوروالتفسير بالرأي

من قرأ كتب التفسير عرف أنها نوعان:

- **نوع سمي:التفسير بالمأثور أو الرواية.**
- **نوع سمي:التفسير بالرأي أو الدراية.**

أولا: التفسير بالمأثور

ويراد به:التفسير المقتصر على النقل عن رسول الله ﷺ ، أو عن الصحابة رضي الله عنهم،أو عن تلامذتهم من التابعين، وربما عن الأتباع، أي عن تلاميذ التابعين[1].
وهناك الكثير من التفاسير صنفت على هذا النمط، من أشهرها:

- **الدر المنثور في التفسير المأثور - الحافظ السيوطي.**
- **جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير الطبري.**
- **تفسير القرآن العظيم- ابن كثير.**
- **معالم التنزيل- الحسين بن مسعود البغوي.**
- **فتح القدير- محمد بن علي الشوكاني.**

ويعتمد التفسير بالمأثور على المصادر التالية:

- **القرآن الكريم: أي تفسير القرآن بالقرآن،وهذا أفضل وأشرف أنواع التفسير وأجلها. ذلك أن الآية قد ترد في موضع وترد آية في موضع آخر أكثر تفصيلا فتفسر الأولى بالثانية،ومن أمثلة ذلك:قوله تعالى:"ملك يوم الدين" في سورة الفاتحة،فقد ورد بيان المراد بيوم الدين في قوله تعالى:** ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ **(الانفطار17-18)**
- **السنة النبوية: أي تفسير القرآن بالسنة فإنها شارحة له،وموضحة لمعانيه.قال تعالى:** ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**.(النحل 44) وقد فسر النبي ﷺ عددا من الآيات،وروت كتب الحديث طائفة من ذلك.فقد فسر القوة المذكورة في قوله تعالى:** ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ **(الانفال: 60) بقوله ﷺ: "ألا إن القوة الرمي، إن القوة الرمي" [2].**

1- يوسف القرضاوي، **كيف نتعامل مع القرآن**، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2000، ص206.

2- أبو داود، **صحيح سنن أبي داود**، تح: الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1998، رقم 2514.

- أقوال الصحابة: لأنهم أعلم من غيرهم لما اختصوا به من مشاهدة الأحداث ومصاحبة الرسول ﷺ وحضور مجالسه، ولما لهم من الفهم الصحيح والعمل الصالح.
- أقوال التابعين: وقد رجح كثير من العلماء الأخذ بأقوال التابعين الذين تلقوا التفسير عن الصحابة –رضي الله عنهم-

❖**حكم التفسير بالمأثور:** التفسير إذا صح سنده يجب الأخذ به ولا يصح العدول عنه، وهو الذي يجب اتباعه لأنه طريق المعرفة الصحيحة،وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله[1]

آفات التفسير بالمأثور[2]:

منها:

- وجود الضعيف والمنكر والموضوع من المنقول عن الرسول وأصحابه وتابعيهم.
- تضارب الروايات بعضها مع بعض. وهذا يتطلب تمحيص الروايات، وتحقيق الأسانيد، وفق مناهج الجرح والتعديل، حتى يعرف الموثق من المضعف، والمقبول من المردود.
- أن بعض هذا المأثور هو رأي لصاحبه فلا عصمة له.
- أن التفسير بالمأثور-كما روي لنا - لم يكن تفسيرا منهجيا يتناول القرآن سورة سورة،ويتناول السورة آية آية،ويتناول الآية كلمة كلمة،كما هو شأن التفسير التحليلي الذي عرف باسم (التفسير بالرأي) بل هو أشبه بتعليقات على الآيات الكريمة.

ثانيا: التفسير بالرأي

يراد بالرأي هنا: ما يقابل النقل، ولذا سمي التفسير بالدراية،مقابل التفسير بالرواية، ومعنى الرأي هو: الاجتهاد وإعمال العقل والنظر في فهم القرآن الكريم في ضوء المعرفة بلسان العرب،وفي إطار ما ينبغي أن يتوافر للمفسر من أدوات وشروط معرفية وأخلاقية[3].

وينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين[4]:

1- القطان، مرجع سابق، ص340.
2- القرضاوي، مرجع سابق، ص207.
3- القرضاوي، المرجع نفسه، ص207.208.

4- **مطبوعة التعليم الثانوي** مرجع سابق، ص124

- **التفسير بالرأي المحمود: وهو الذي يستند فيه صاحبه على النقل عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم،والأخذ بمطلق اللغة وبما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع بهذه الصفات جائز.**
- **التفسير بالرأي المذموم: وهو التفسير الذي يعتمد فيه المفسر عل رأيه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد من غير دليل.وهذا النوع من التفسير حرام،لقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ **(الإسراء 36)**

ولقوله ﷺ :"من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من "[1].

كما أن التفسير المذموم هو التفسير دون علم، أو حسب الهوى، مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، أو أن يحمل المفسر كلام الله على مذهبه الفاسد، وبدعته الضالة، أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه، ويجزم أن المراد بكلا م الله كذا وكذا[2].

- **أدلة المجيزين للتفسير بالرأي[3]:**

استدل المجيزون للتفسير بالرأي وهم (الجمهور) بعدة أدلة:

❖ **لقد حثنا الله على التدبر** ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ **(ص: 29)**

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **(محمد: 24)**

والتدبر والتذكر لا يكون إلا بالغوص في أسرار القرآن، والاجتهاد في فهم معانيه.

❖ **إن الله تعالى قسم الناس قسمين: عامة وعلماء، وأمر بالرجوع إلى أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام،فقال تعالى:** ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(النساء: 83) والاستنباط هو استخراج المعاني الدقيقة بثاقب الذهن.

1- الترمذي، **سنن الترمذي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 1996، ط1، رقم 8600.

2- الصابوني، مرجع سابق، ص155

3- الصابوني، مرجع سابق، بتصرف.

❖ جواز الاجتهاد،والمجتهد في حكم الشرع مأجور سواء أصاب أم أخطأ، ما دام أنه استفرغ جهده،وبذل ما في وسعه، بغية الوصول إلى الحق والصواب.

❖ أن الصحابة – رضي الله عنهم- قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه.

❖ أن النبي ﷺ دعا لإبن عباس- رضي الله عنه- فقال:" اللهم فقه في الدين،وعلمه التأويل" [1].

فلو كان التأويل مقصورا عل السماع والنقل كالتنزيل لما كان هناك فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فدل على أن التأويل هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

قال (أبو حامد الغزالي) في الإحياء:" إن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا، ومتسعا بالغا،وإن المنقول من ظاهر التفسير، ليس منتهى الادراك فيه، فبطل أن يشترط السماع في التأويل،وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه،وحد عقله[2].

ومن أشهر التفاسير بالرأي:

- مفاتيح الغيب – فخر الدين الرازي.
- الكشاف- الزمخشري.
- البحر المحيط – أبو حيان الغرناطي.
- تفسير الجلالين- جلال الدين المحلى. – جلال الدين السيوطي
- الجامع لأحكام القرآن-القرطبي.

1- أحمد بن حنبل، **مسند الامام أحمد**، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، رقم، 2397.

2- أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة ،بيروت، 2004، ج3، ص36.

المحاضرة 11 : التفسير اللغوي

أولا: تعريف التفسير اللغوي

بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب .

أما الشق الأول من التعريف، وهو بيان معاني القرآن: فإنه عام يشمل كل مصادر البيان في التفسير، كالقرآن، والسنة، وأسباب النزول وغيرها.

وأما الشق الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب: فإنه قيد واصف لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن، وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب.

والمراد بما ورد في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن.

وقد أشارإلى هذا (الشاطبي) (ت790هـ)،فقال: "فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربي، وإنه لا عجمة فيه، فيعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، وظاهر ويراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره.."[1].

والتفسير اللغوي مركب وصفي متكون من صفة وموصوف، والصفة فيه قيد له من إدراج غيره فيه. واللغوي نسب على القياس إلى اللغة، والمقصود بها هنا اللغة العربية وإن لم تحدد، واللغة العربية تضم عددا من العلوم تسمى(علوم اللغة العربية) وهي: علم الصوت، وعلم الصرف، وعلم النحو،وعلم المعجم، والبلاغة، وغيرها من العلوم الفرعية. فالتفسير اللغوي إذن هو: التفسير الذي يستفاد من خلال اللغة العربية وعلومها، وأساليبها من خطاب الخاص بالعام،وخطاب العام بالخاص،وغيرها من الأساليب[2].

ثانيا: مكانة التفسير اللغوي

يعد الاتجاه اللغوي في التفسير من أقدم الاتجاهات اتي وجدت في التفسير،كما تعد اللغة والآداب العربية أحد المصادر المهمة في تفسير القرآن، والتي لا يمكن أن يستغني عنها أي مفسر، وكانت مسألة استخدام اللغة العربية في فهم القرآن مورد اهتمام الأدباء والمفسرين منذ القدم.

وقد نبه العلماء إلى ذلك كثيرا، فقد روي عن الإمام (مالك بن أنس) -رضي الله عنه- قوله: " لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بالعربية إلا جعلته نكالا"[3].

1- مساعد الطيار، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، دار ابن الجوزي، السعودية، 2002، ص39 .

2- أحمد محسن خلف، **التفسير اللغوي**، عند ابن جني، 2014، الجامعة المستنصرية، العراق، ص7.

3- الزركشي، البرهان، مرجع سابق، ج2، ص160.

وقال (السيوطي): "وقال العلماء: يجب على المفسرأن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر،وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سبق الكلام،وأن يؤاخي بين المفردات،وعليه البداءة بالعلوم اللفظية،وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة.ثم التصريف،ثم الاشتقاق،ثم يتكلم عليها بحسب التركيب،فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلق بالمعاني،ثم البيان،ثم البديع،ثم يبين المعنى المراد،ثم الاستنباط،ثم الإشارات"[1].

كما أكد(الراغب الاصفهاني) على ذلك بقوله: "إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن،العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته،وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[2].

ويقول الشيخ (الطاهر بن عاشور): " أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم،أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها.

إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم"[3].

وبالرغم من أهمية اللغة العربية في التفسير،إلا أن التفسير اللغوي له ضوابط على المفسر التقيد بها " إذ لا يجوز أن يحمل كلام الله عزو جل، ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما،فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن"[4].

1- السيوطي، **الاتقان**، مرجع سابق،ج2 ص185.

2- الراغب الاصفهاني، **المفردات** ،دار القلم، دمشق، ط2، 1998، ج1، ص53.

3- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ج1،1984 ،ص18.

4- الزمخشري، **المفصل في صنعة الإعراب**، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 193ص12.

وعلى المفسر أن يحذر"أن يتسارع إلى تفسير القرآن ظاهر العربية،من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة،وما فيه من الإختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية،كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي"[1].

ثالثا: خصائص منهج التفسير اللغوي

إن أكثرما يهتم به أصحاب هذا المنهج،هو المسائل التالية[2]:

- الاهتمام بالمسائل النحوية والصرفية للألفاظ وعبارات القرآن، وفي بعض الأحيان يقوم المفسر بإعراب الآيات ودراسة النواحي الصرفية فيها.
- الاهتمام ببيان المسائل واللطائف البلاغية وفصاحة القرآن.
- الاهتمام بالإعجاز الأدبي والبلاغي، أوإثبات ذلك.
- توضيح اللغات الغريبة والمشكلة في القرآن.
- الاهتمام بجذور الكلمات في اللغة العربية والثقافات غير العربية.
- الاهتمام باختلاف القراءات،وتأثير ذلك في معاني الآيات.
- الاستفادة من أشعار العرب،وخصوصا الجاهلي منها كمصدر للتعرف على معاني القرآن.
- الاهتمام بمباحث الوجوه والنظائر والحقيقة والمجاز.

رابعا: العلوم التي يحتاج إليها المفسراللغوي

- أن يكون المفسر عارفا بالتصريف،ومعاني الأبنية،ودلالتها، وأصول الألفاظ.
- أن يكون المفسر عارفا باللغة ومعاني مفرداتها، ومدلولاتها بحسب الوضع، وهوجانب الدلالة المعجمية للألفاظ.
- أن يكون المفسر عارفا بالنحو،لأن المعاني تتغير،وتختلف باختلاف الإعراب.
- أن يكون المفسر عارفا بالإشتقاق، والإشتقاق حقه أن يكون ضمن التصريف.
- أن يكون المفسر عارفا بعلم المعاني،الذي يهتم بدراسة خواص التراكيب من جهة إفادتها المعنى.
- أن يكون المفسر عارفا بعلم البيان،الذي يهتم بدراسة خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.
- أن يكون المفسر عارفا بعلم البديع، الذي يعنى بدراسة تحسين الكلام.وهذه العلوم الثلاثة الأخيرة تسمى علوم البلاغة[3].

1- الفرطبي، **مقدمة تفسير القرطبي**، مرجع سابق، ج1، ص34.

2- محمد علي رضا الاصفهاني، **مناهج التفسير واتجاهاته**، دراسة مقارنة، مركز الحضارة، بيروت، ط8، 1200، ص387.

3- السيوطي، **الاتقان**، مرجع سابق، 214/213/4.

خامسا: أشهر التفاسير اللغوية

- الكتاب- سيبويه (ت180هـ).
- معاني القرآن، الكسائي (ت189هـ)
- معاني القرآن-الفراء (ت207 هـ)
- مجاز القرآن- أبو عبيدة (ت210هـ)
- معاني القرآن-الأخفش (ت215هـ).
- معاني القرآن- المبرد (ت285هـ)
- معاني القرآن، إعراب القرآن، غريب القرآن -ثعلب (ت291هـ).
- معاني القرآن وإعرابه -الزجاج (ت311هـ).

المحاضرة 12: التفسير البياني والأدبي

أولا: تعريف التفسير البياني

هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك من أحوال التعبير[1].

ويقصد بالبيان الكشف عن المعنى، سواء أكان ذلك باللفظ، أم بغير اللفظ كالإشارة وغيرها..

والبيان عند (الجاحظ ت255هـ): "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2].

ثانيا: نشأة التفسير البياني

إن التأليف في التفسير البياني الذي يكشف عن وجوه الجمال والإعجاز،والذي يولي هذا الجانب الاهتمام الأكبر كان متأخرا من جهة،ومحصورا في حقلين هما:إعجاز القرآن، وحقل المتكلمين والبلاغيين، ومنهم الجاحظ، والجرجاني.

وأشهر الكتب التي ألفت في ذلك "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل "للزمخشري (ت538 هـ) ومن الذين تأثروا به:

- البيضاوي (ت691 هـ) في تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل."
- الإمام النسفي (ت701هـ) في تفسيره "مدارك التزيل وحقائق التأويل" [3]

وفي العصر الحديث أخذ نفر من العلماء والدارسين يتوسلون المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، عساهم يتلمسون، بعض أسراره البيانية، ويقفون على بعض لمحه البلاغية، يتقدمهم (مصطفى صادق الرافعي 1880-1937م) في "إعجاز القرآن والبلاغة العربية"، والشيخ (أمين الخولي 1895-1966م) في "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب"، و(سيد قطب 1906-1966م) في "التصوير الفني في القرآن" و"في ظلال القرآن"، و(عائشة عبد الرحمان 1913-1998م) في" التفسير البياني للقرآن الكريم"

1- فاضل صالح السامرائي، **على طريق التفسير البياني**، ج1، الشارقة، 2002، ص7.
2- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دن، 76/1.
3- ابراهيم لقان، **محاضرات في علوم القرآن**، المركز الجامعي، ميلة، 2009، ص 79.

و"الاعجاز البياني للقرآن"، و(فاضل صالح السامرائي 1933) في: "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" و" على طريق التفسير البياني" و "لمسات بيانية في نصوص من التنزيل"[1].

ويعد الشيخ أمين الخولي رائد المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، ويقتضي التفسير البياني عنده ضرورة فهم سياقي القرآن الكريم، سياقه الداخلي المتمثل في دراسة مفردات القرآن وتراكيبه، وذلك بالاستعانة بالعلوم اللغوية كالنحو والبلاغة.. وسياقه الخارجي، المتضمن معرفة البيئة العربية -المادية والمعنوية- التي ظهر فيها القرآن، والتي عنها تحدث.. [2]

ولقد لخصت عائشة عبد الرحمان ضوابط المنهج البياني عند أستاذها وزوجها الشيخ (أمين الخولي) في كتابه الجليل "مناهج تجديد" بقولها[3]:

- الأصل في المنهج، التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الاسلام. ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.
- في فهم ما حول النص:ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان،كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية، دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية. وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية.
- في فهم دلالات الألفاظ: نلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية. ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ،وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.
- في فهم أسرار التعبير: نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين بما يحتمله نصا وروحا. ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الاسرائليات وشوائب الاهواء المذهبية، وبدع التأويل.

كما نحتكم إلى الكتاب المبين في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية،نعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا نعرضه عليها،ولا نأخذ فيه بتأويل لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه، لتسوية قواعد الصنعة النحوية والبلاغية، إذ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه، وهو النص الموثق الذي لم تشبه أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصوص الفصحى من تحريف أو وضع.. [4]

ولعل بنت الشاطئ خير من تلقف فكرة أستاذها أمين الخولي، فقد جسدتها في بحوثها ودراساتها المختلفة، أهمها كتاب "التفسير البياني للقرآن الكريم" في جزئين، الأول تضمن سور (الضحى، الشرح،

1- يوسف ولد النبية، **المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم**، تفسير فاضل صالح السامرائي نموذجا، مجلة الممارسات اللغوية، مج11، ع03، جامعة تيزي وزو، 2020، ص24.

2- عائشة عبد الرحمان، **الاعجاز البياني للقرآن**، دار المعارف، القاهرة، ط3، 2004، ص27.

3- يوسف ولد النبية، مرجع سابق: ص25- 26.

4- عائشة عبد الرحمان، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، دار المعارف، (دت)، ط7، 55.

الزلزلة، العاديات، النازعات، البلد، والتكاثر)، والثاني تضمن سور (العلق، القلم، العصر، الليل، الفجر، الهمزة، والماعون)، وكتاب الاعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية" في جزئين أيضا، تناولت في جزئه الأول الاعجاز البياني بوجه عام، ودرست في جزئه الثاني نحو مائتي مسألة في كلمات قرآنية، سأل فيها نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- وطلب إليه في تفسير كل مسألة منها أن يأتي له بشاهد منها في كلام العرب[1].

وقد نبهت بنت الشاطئ الذين يلتمسون مقاصد بعينها من القرآن الكريم على مسألة تراها أساسية، وهي أنهم: " لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئا دون أن يفقهوا أسلوبه الفريد ويهتدوا إلى أسراره البيانية التي تعين على إدراك دلالاته، فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية، أم يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية، أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم على النحو الذي ألفناه في كتب التفسير، فهو مطالب بأن يتهيأ أولا لما يريد، ويعد لمقصده عدته، من فهم مفردات القرآن وأساليبه، فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسراره في التعبير[2].

ثالثا: مكانة التفسير البياني

إن مدرسة التفسير الأدبي انطلقت على أساس النظر في المركبات الي تحدث العلاقة بين الألفاظ، اعتمادا على موروث اللغة من نحو وصرف وبلاغة لكن -وهذا ما أثارته هذه المدرسة- ألا يكون الاعتماد على علوم اللغة مقصودا لذاته، بل على أساس أنها أداة بيان المعنى وتحديده لا غير، والنظرة البلاغية المطلوبة هي الصورة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال في الأسلوب القرآني، وتستبين معالم هذا الجمال وأسرار التعبير من الحرف إلى الكلمة، و دلالات الألفاظ إلى الأسلوب.

ونظم القرآن المعجز لم يكن غرضا مقصودا لذاته، بل كان لإصلاح الحياة البشرية فهو(فن الحياة) [3]

إن هدف مدرسة التفسير الأدبي هو التوجه لدراسة القرآن أدبيا وفنيا، واعتبار الغرض الأول من التفسير والذي أقرته مدرسة (محمد عبده) ، وآثرت بناء منهجها عليه الاهتداء بالقرآن.

والتفسير البياني والأدبي تفسير يبرز إعجاز القرآن، ويعتمد في عرض معانيه على الأسلوب الأدبي الجذاب ليصل إلى القارئ بما يريد من التأثير والتوجيه.

ولقد لفت هذا التفسير إليه الأنظار لأنه استطاع أن يملك ناصية البيان الأدبي في عرض المعاني، وناصية الذوق الأدبي في فهم أسرار إعجاز القرآن[4].

1- فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، شركة العاتك، القاهرة، 2006، ص 95.
2- المرجع نفسه، ص 96.
3- شكري عياد، **الرؤيا المقيدة**، ط1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص173.
4- نور الدين عتر، **علوم القرآن الكريم**، مطبعة الصباح، دمشق، 1993، ص113.

رابعا: ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني

ذكر (السامرائي) أن ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني هو ما يحتاجه المتصدي للتفسير العام، إلا أن به حاجة أكثر إلى الأمور التالية[1]

- التبحر في علم اللغة (المعاني التي وضعت الألفاظ بإزائها).
- التبحر في علم التصريف(الأبنية والصيغ).
- التبحر في علم النحو (الاعراب والبناء).
- التبحر في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع).
- العلم بالقراءات.
- معرفة أسباب النزول.
- النظر في السياق.
- مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير المراد تبيينه.
- مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة المراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها.
- أن يعلم المفسر بأن هناك خصوصيات في الإستعمال القرآني، كاستعمال الريح للشر والرياح للخير، والغيث للخير والمطر للشر،والصوم للصمت،والصيام للعبادة.
- أن ينظر في الوقف والابتداء، وأثر ذلك في الدلالة والتوسع في المعنى أو التقييد فيه.
- أن يسترعي نظره أي تغيير في المفردة والعبارة كالإبدال في المفردة نحو: يطهر ويتطهر، والذكر والحذف نحو: تذّكّرون (الشدة على الذال والكاف) وتتذكّرون (الشدة على الكاف)، وتغيير الصيغة نحو: مغفرة وغفران.
- إدامة التأمل والتدبر، وهما من أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار.
- الاطلاع على ما كتبه مشاهير المفسرين، وكتب علوم القرآن، والإعجاز والمتشابه..
- الموهبة التي هي أساس كل علم وفن وصنعة.

خامسا: نقد التفسير البياني

من محاذير هذا النهج في التفسير أنه يغفل جوانب القرآن المتعددة من أسرار الإعجاز في معانيه وتشريعاته،وأحكامه ومبادئه للحياة الانسانية الفاضلة، ويتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الأدبية كالنص الشعري أو النثري، ودراسة النصوص الأدبية التي تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لآخر بتفاوت ثقافته[2].

1- يوسف ولد النبية، مرجع سابق، ص28 – 29.

2- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص364.

المحاضرة 13 : الإعجاز اللغوي والبياني

أولا: مفهوم الإعجاز

أ- في اللغة:

الاعجاز في اللغة العربية هو:نسبة العجز إلى الغير. قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ **(المائدة: 30)**

وتسمى المعجزة معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنها أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة[1].

ب- في الإصطلاح: عبر عنه العلماء بعبارات مختلفة.

فهو عند (الجرجاني) في التعريفات: "أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق" [2]. وعند (الشنقيطي): "أمر خارق للعادة ،مقدر بالتحدي،سالم من المعارضة"[3]. وإعجاز القرآن معناه: إثبات عجز البشر- متفرقين ومجتمعين- عن الإتيان بمثله. وليس المقصود من (إعجاز القرآن) هو تعجيز البشر لذات التعجيز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق[4].

ثانيا: مفهوم الإعجاز البياني

هو أن يؤدى المعنى ببيان معجز لجميع البيانات الأخرى.

ويعرفه (الحسين زروق): "الإعجاز البياني هو إثبات عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن ببيانه، تصديقا لنبوة محمد ﷺ، فالإعجاز البياني هو تحدي البيان القرآني للبيانات الأخرى، إثباتا لصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ [5]

1- محمد علي الصابوني، **التبيان**، مرجع سابق، ص89.

2- الجرجاني، **التعريفات**، دار الفضيلة، القاهرة،2010، ص88.

3- الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج5، ص496.

4- محمد علي الصابوني، **التبيان**، مرجع سابق، ص89.

5- الحسين زروق، **جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2013، ص25.

ثالثا: عناصر البيان القرآني:

حدد ذلك العلامة (عبد الله دراز) في كتابه العظيم: "النبأ العظيم" بقوله: " وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسرارا من الإعجاز اللغوي.

يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغنائها، وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل أذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

ويجد ذلك في ألفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنه زائد، ولا يعثر الباحث على موضع يقول إنه محتاج إلى إثبات لفظ ناقص.

ويجد ذلك في ضروب الخطاب التي يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم، فيراها كل واحد منهم مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته، من العامة والخاصة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: 17)

ويجد ذلك في إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجو البشرية تفكيرا ووجدانا في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير.

وهكذا حيثما قلب النظر، قامت أمامه حجة القرآن في التحدي والإعجاز."[1].

ويمكن تحديد عناصر البيان القرآني كما يلي:

1- دقة ألفاظ القرآن:

البيان القرآني المعجز دقيق دقة ملحوظة في اختيار ألفاظه، سواء أصولها الاشتقاقية،أو سهولة حروفها وتناسقها،أو روعة ايقاعها،أو بلاغة دلالاتها.

قال الإمام (الراغب الأصفهاني) في مقدمة كتابه الفذ" مفردات ألفاظ القرآن" حول دقة ألفاظ القرآن" فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه،وعليه اعتماد الفقهاء والحكماء،في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها- وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها- هو بالإضافة إليها، كالقشور والنوى الإظافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة.."[2].وقال (د.عبد الفتاح لاشين): " لقد كان القرآن دقيقا في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته..فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك بسبب، وإذ انتقاها نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كان اللفظ مفردا كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعا كان الحال يناسبه، وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة،وقد يفضل

[1]- القطان، مرجع سابق، ص ص 259-260.

[2]- راغب الاصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، دارالقلم، دمشق، ط1، 1412هـ، ص55.

كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد،وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي،والجمال البديعي - على قدره وحسنه- لغرض أسمى وهو الحسن المعنوي، وكل ذلك لغرض يرمي إليه.. وهكذا دائما: لكل مقام مقال في التعبير القرآني.."[1].

إن من دقة القرآن في تخير وانتقاء ألفاظه أن معظم الألفاظ القرآنية كانت ثلاثية في جذورها وأصولها، ومن الجذر الثلاثي للفظ القرآني كانت تشق الألفاظ الاشتقاقية في تصريفاتها وحالاتها. والأفعال الرباعية المجردة نادرة في القرآن، والأسماء الرباعية المجردة نادرة أيضا.وإيثار القرآن للفظ الثلاثي لخفته في النطق، وحسن موقعه في السمع"[2].

❖ مثال من القرآن على دقة ألفاظه:

كلمة **(ضيزى)** وردت مرة واحدة في القرآن، وجذرها الثلاثي لم ترد منه إلا هذه الكلمة، وهي من أغرب الكلمات الغريبة في القرآن،لكنها دقيقة دقة عجيبة في السياق الذي وردت فيه.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 19-22)

فما معنى(ضيزى)؟ وما جذرها الثلاثي الذي اشتقت منه، وما دقتها في السياق الذي وردت فيه؟

ضيزى: جائرة أو ظالمة. أي قسمتكم أيها المشركون قسمة جائرة، لأنكم جعلتم لكم الذكور وجعلتم لله البنات. وجذرها الثلاثي هو (ضيز). ورد في المعجم الوسيط: "ضاز: يضيز، ضيزا، اعوج وجار. ويقال: ضاز فلانا حقه: إذا ظلمه، القسمة الضيزى هي الجائرة"[3].

وقال (الراغب الاصفهاني): قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 22) أي ناقصة، أصل (ضيزى) فعلي،فكسرت الضاد لتناسب الياء بعدها[4].

وبما أن (ضيزى) بمعنى: جائرة أو ظالمة فلماذا آثر القرآن هذه اللفظة الغريبة، ولم يذكر ما يقاربها وهو (جائرة)؟ ولماذا لم يقل: إذن تلك قسمة جائرة؟

علل الأديب (ابن الأثير) في "المثل السائر" الأمر تعليلا بيانيا، ولاحظ فيه مراعاة فواصل الآيات، لأن فواصل الآيات بالألف المقصورة، فالفواصل قبلها: العزى،الأخرى، الأنثى.. فجيئ بكلمة (ضيزى) مراعاة لهذه الفواصل، ولوجاءت الآية الأخرى، لاختل الإيقاع، وتأثر نظام الفواصل[5]. وتعليل (ابن الأثير)

1- عبد الفتاح لاشين، **صفاء الكلمة**، دار المريخ، الرياض، 1983، ص ص 15-16.

2- عبد الفتاح لاشين، **صفاء الكلمة**، المرجع السابق، ص13-14.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008، ص547.

4- المفردات، مرجع سابق، ص 513.

5- ابن الاثير، **المثل السائر**، ج1، الحلبي، مصر، 1939، ص 229 .

لطيف ومقبول يراعي الفواصل، ويبين إيقاعها الحسن وانسجامها الصوتي الجميل، لكنه تعليل لفظي خالص، لم يلتفت إلى معنى الكلمة.

وجاء الأديب (مصطفى صادق الرافعي)، فأضاف إلى تعليل ابن الأثير اللفظي الظاهري تعليلا آخر لطيفا أيضا، لاحظ فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى وتناسبه للسياق.

بين(الرافعي) -رحمه الله- أن الآية: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ (النجم: 22) في سياق الانكار على العرب المشركين، وكان الكلام قبلها عن قسمة المشركين الأولاد، حيث جعلوا الملائكة بنات، وجعلوا البنات لله، بينما اختصوا هم بالذكور، فأنكر الله عليهم هذه القسمة الجائرة ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 22) إذن غرابة لفظة (ضيزى) ملائمة لغرابة القسمة الجائرة التي أنكرها السياق، وهذه الغرابة تصور في هيئة النطق باللفظ (ضيزى) الإنكار في الآية السابقة:" ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ والتهكم في الآية التي وردت"[1]: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 22) ومعنى كلام الرافعي أن لفظ ضيزى بإيقاعه وجرسه ومعناه الغريب، واجتماع حروفه، يصوره الإنكار في الآيات، إنكار القسمة الظالمة، التي دعا المشركون فيها البنات لله، والذكور لهم. أي السياق الذي ورد فيه اللفظ سياق غرابة موضوعية، وإنكار معنوي، فتناسب هذا الإتيان بلفظ غريب في معناه، وغريب في إيقاعه وجرس حروفه، وهذه دقة معجزة في اختيار لفظ (ضيزى)، وإيثاره على أي لفظ آخر.

2- روعة معاني ألفاظ القرآن:

معاني القرآن دقيقة وفي غاية الروعة، وسمو البيان، وبذلك يتكامل اللفظ والمعنى، ويلتقيان على تحقيق بلاغة البيان القرآني المعجز.

ويتجلى تناسق ألفاظ القرآن مع السياق الذي وردت فيه، وتلتقي مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية.

فالسياق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب، المناسب بحروفه وجرسه، وإيقاعه، والمناسب بمعناه المتفق عليه مع معاني الألفاظ الأخرى مجتمعة.

❖ مثال من القرآن:

اسمان لأم القرى: بكة ومكة

ومن الأمثلة على روعة معاني ألفاظ القرآن اسم بلد الله الحرام (أم القرى) في القرآن. لقد أطلق القرآن عليها اسمين: "مكة" و"بكة"، لما سماها مكة أراد معنى "الملك"، ولما سماها بكة أراد معنى "البك"، وسماها بكة في سياق لا يصلح فيه تسميتها مكة.

1- الرافعي، **اعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006، ص261.

أسماها القرآن "بكة" في سورة آل عمران، بينما أسماها "مكة" في سورة الفتح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران 96-97)

بكة مشتقة من (البك) ولم ترد هذه المادة إلا في هذا الموضع من القرآن.

قال الإمام الراغب: بكة هي مكة،وسميت بذلك من التباك، وهو الازدحام، لأن الناس يزدحمون فيه للطواف.

وقيل:سميت مكة بكة أنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم.."[1]

إذن سميت (بكة) لأنه لوحظ في هذا الاسم معنى الازدحام، والازدحام أوضح ما يكون في موسم الحج،حيث يزدحم الحجاج ازدحاما شديدا للطواف والسعي. والسياق هو الذي دفع للعدول عن اسم (مكة) إلى (بكة)، ولا يصلح أن يقول في سورة آل عمران (مكة) لأن المراد في سورة آل عمران هو معنى البك والازدحام.

إن السياق في السورة هو في الحج، فالآية التالية تحدثت عن وجوب الحج على المسلمين ﴿لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ الحجاج يتباكون في (بكة)، يبك بعضهم بعضا، ويزحم بعضهم بعضا فيها حول الكعبة.

أما (مكة) فقد وردت مرة واحدة في القرآن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الفتح: 24)

وأطلق عليها في سورة الفتح (مكة) وليس (بكة) لأنه الاسم المشهور لها، ولأن سورة الفتح كانت بشارة بقرب فتح مكة، حيث تم فتح مكة بعد أقل من سنتين من نزول سورة الفتح.

لماذا سميت (مكة)؟ لأنها مشتقة من (المك)، والمك هو: الامتصاص، يقال مك العظم: إذا امتص مخه، ومك الفصيل ضرع أمه: إذا مصه وشربه.

وسميت(مكة) بذلك لأنها تمك ذنوب الحجاج التائبين وتمتصها وتذهبها.

فمن روعة معاني ألفاظ القرآن أنه عبر باسم (مكة) في سورة آل عمران، واسم (مكة) في سورة الفتح، وهما اسمان قرآنيان لبلد الله الحرام[2]،

1-الراغب الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 140.

2- فاضل السامرائي. **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، ط4، 2006، ص 173- 174.

3- جاذبية إيقاع القرآن:

للبيان القرآني المعجز (إيقاع) جذاب مؤثر، وهذا الايقاع الأخاذ يدخل أذن السامع فيؤثر فيه، إذ يتفاعل وينشط ويهتز ويخشع.

وقد ذكر(سيد قطب) أن عناصر الايقاع الموسيقي في القرآن خمسة:

- مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.
- تناسق الايقاعات بين كلمات الآيات.
- اتجاهات المد في الكلمات.
- اتجاهات المد في نهاية الفاصلة في الآيات.
- حرف الفاصلة القرآنية ذاته[1].

واعتبر د.محمد عبد الله دراز الايقاع القرآني الجذاب يقوم على عنصرين:

الأول: الجمال التوقيعي حيث قال عنه: "دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله..ثم انتبذ منه مكانا قصيا لا تسمه فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها،واتصالاتها وسكتاتها.. ثم ألق سمعك في هذه المجموعة الصوتية، وقد جردت تجريدا وأرسلت ساذجة في الهواء.. فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر. هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب، فكيف يخفى على العرب أنفسهم"[2].

الثاني: الجمال التنسيقي: قال عنه: "فإذا ما اقتربت بأذنك قليلا قليلا، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى، في نظم تلك الحروف ورصفها، وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر، وذاك يصفر، وثالث يهمس، ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس النفس[3]..

الإيقاع القرآني الظاهري الجميل يقوم على عنصرين هما: الجمال التوقيعي المبني على إيقاع الحروف وصوتها في الأذن، والجمال التنسيقي المبني على تناسق الحروف وتلاؤمها، واجتماعها على أداء ايقاع قرآني جذاب جميل.

- مثال من القرآن: إيقاعان جذابان في سورة النازعات، ينسجمان مع جوين خاصين تمام الانسجام.

1- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص85.

2- محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، دار القلم، الكويت، (دت)، ص94.

3- المرجع السابق، ص87.

- **الإيقاع الأول: في الآيات الأولى من السورة، التي تتحدث عن يوم القيامة، قال تعالى:** ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ، يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ، أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً، قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ **(النازعات: 1-14)**

قال (سيد قطب) عن إيقاع هذه الآيات المتناسق مع جوها العام: " هذا الإيقاع في هذه المقطوعة،السريعة الحركة، قصيرة الموجة، قوية المبنى..ينسجم مع جو مكهرب سريع النبض،شديد الارتجاف.." [1]

حديث الآيات عن مشاهد القيامة: عن النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، وعن الراجفة التي ترجف وتحرك الأرض عند نفخة العصق،وعن الرادفة التي تردفها وتتبعها عند نفخة البعث،وعن خروج الكفار من قبورهم خاشعين من الذل، مستغربين من بعثهم وإعادتهم للحياة بعدما كانوا عظاما نخرة،وعن شعورهم بالخسارة والهلاك، ثم زجرهم زجرو واحدة، يدفعون بها إلى الساهرة، حيث يقفون على أرض الساهرة وساحة العرض للحساب والجزاء والعقاب،الذي ينتج عنه العذاب.

هذا الموضوع يلقى جو الخوف والرهبة والرجفة، والعنف والهلع والفزع.. وهذا الجو يناسبه إيقاع سريع الحركة، قصير الموجة، قوي المبنى، وتلقى كلمات وحروف الآيات مع حركتها وجرسها وصفاتها ومداتها وغناتها هذا الإيقاع السريع المتناسب مع الجو المخيف.

- **الإيقاع الثاني: في الآيات التالية التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام، قال تعالى:** ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ، وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ، فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ، فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ، فَحَشَرَ فَنَادَىٰ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ **(النازعات: 15-26)**

قال(سيد قطب) عن هذا الإيقاع المنسجم مع الجو العام:" هذا الإيقاع الثاني يظهر في هذه المقطوعة، الوانية الحركة، الرخية الموجة، المتوسطة الطول.. ينسجم مع الجو القصصي، الذي يلي مباشرة في السورة حديث الكرة الخاسرة، والزجرة الواحدة، وحديث الساهرة.." [2]

هذا الموضوع القصصي يلقي جو التأني والإخبار والعرض والسرد،وهذا الجو يناسبه إيقاع بطئ الحركة، رخي الموجة، متوسطة الطول.

1- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، مرجع سابق، ص91-92.

2- **المرجع نفسه**، ص92.

4- جمال التصوير في القرآن:

إن البيان القرآني المعجز يستخدم طريقة التصوير في التعبير عن مختلف موضوعاته، وهذا التصوير جميل حيوي مؤثر، يضفي على البيان القرآني جمالا وحيوية، وروعة وجاذبية.

ومعنى التصوير هو أن القرآن يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة، فعندما يقرأ القارئ الآية ترتسم في خياله صورة فنية مجسمة متخيلة للموضوع الذي تتحدث عنه الآية.والتصوير القرآني إما أن تعرضه صور الألفاظ، وإما أن تلقيه ظلال تلك الألفاظ.

- مثال من القرآن: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الحج: 19- 22)

تعرض هذه الآيات مشهدا من مشاهد عذاب الكفار في النار يوم القيامة، وهو مشهد مصور مؤثر.. ويرى القارئ مشهدا تصويريا للنار، والكفار داخلها، وتتابع اللقطات والمناظر والصور في خياله،يرى الكفار، ويسمع ما يقولون، وما يقال لهم، ويلحظ مظاهر الألم والحزن على ملامحهم، وهم وسط النار، مقدمون على ألوان جديدة من العذاب[1].

5- سمو نظم القرآن:

نظم القرآن نظم سام حيوي مشرق بليغ، وهذا النظم يجمع العناصر الأربعة السابقة وينسق بينها: الألفاظ/ ومعانيها، وإيقاعها، وصورها.

والنظم كما يراه (عبد القاهر الجرجاني) هو توخي معاني النحو وأحكامه بين كلمات الجملة القرآنية، وهذا يؤدي إلى حسن ترتيب الكلمات في الجملة،بحيث تكون كل كلمة في مكانها المناسب نحويا وبلاغيا.

وفي تحليله اللطيف للنظم القرآني السامي في آية من القرآن يقول (الجرجاني): " وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى": ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود: 44) فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلام بعضه

1- علوم القرآن وزارة التربية والتعليم ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008، ص103.

ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها؟

إن شككت فتأمل: هل ترى لفظة بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت من الفصاحة ما تؤديه، وهي في مكانها من الآية؟ قل "ابلعي" واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

وكيف بالشك في ذلك؟ ومعلوم ان مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض..ثم أمرت..ثم في أن كان النداء بحرف"يا"، دون "أي" نحو"يا أيتها الأرض"..ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال"ابلعي الماء"..ثم أن اتبع نداء الأرض-وأمرها بما هو شأنها- نداء السماء،وأمرها كذلك بما يخصها:"ويا سماء أقلعي"..ثم أن قيل:"وغيض الماء" فجاء الفعل على صيغة "فُعل" (بضم الفاء) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر..ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى:" وقضي الأمر"..ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو قوله تعالى" واستوت على الجودي".. ثم إضمار "السفينة " قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة، والدلالة على عظم الشأن.. ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة ب"قيل" في الفاتحة.

أفترى لشيء من هذه الخصائص-التي تملؤك بالاعجاز روعة، وتحضرك عن تصورها هيبة، تحيط بالنفس م أقطارها- تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع،وحروف تتوالى في النطق؟أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟

فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في: ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"[1].

رابعا: دراسات معاصرة للاعجاز البياني في القرآن:

- مصطفى صادق الرافعي: وهو أول من ألف كتابا في "إعجاز القرآن" من المعاصرين في كتابه:"إ عجاز القرآن والبلاغة النبوية".

- د.محمد عبد الله درازفي كتابه:"النبأ العظيم"

- سيد قطب،في كتابه" التصوير الفني في القرآن" وفي كثير من دراساته.

- د.عائشة عبد الرحمان- بنت الشاطئ – في " التفسير البياني للقرآن" و"الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق".

- الشيخ محمد متولي الشعرواي في دروسه العامة في التفسير وهي متلفزة.

- د. فاضل صالح السامرائي في "التعبير القرآني" و"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" و"لمسات بيانية في نصوص من التنزيل".

[1]- عبد القادر الجرجاني، **دلائل الاعجاز**، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت)، ص ص45-46.

المحاضرة 14 : الإعجاز الإخباري والتشريعي

أولا: الإعجاز الإخباري

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم : إخباره عن المغيبات، وهي تلك الإخبارات المتعلقة بأحداث مقبلة، والتي لم يظهرها بعد أي شاهد من العقل أو الحس أو الدلائل التي تعود الإنسان على الاعتماد عليها.سواء تعلقت هذه الأخبار بأحداث عامة، أو تعلقت بأناس أو فئات بأعيانهم، أو تعلقت بنواميس كونية[1].

ففي القرآن آيات كثيرة أخبرت عن أحداث ستقع في زمن مقبل، وفيه آيات تحدثت عن مصائر الناس بأعيانهم، وفيه نصوص تقرر قوانين ثابتة بالنسبة لكثير من المظاهر الكونية المحيطة بنا. وقد جاء الزمن فيما بعد بمصداق هذه الأخبار كلها، دون أن يكون عليها شاهد من قبل، من حس أو عقل أو أي بينة من البينات. وهذا دليل قاطع على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر،إنما هو كلام علام الغيوب،الذي لا تخفى عليه خافية، ولو كان من صنع محمد - كما زعموا- لظهرت علائم الوضع في تلك الأخبار الغيبية، بوقوعها على خلاف ما أخبرو لأفتضح أمره بالكذب الصريح، وحاشاه ﷺ من الكذب على الله[2].

❖أمثلة من القرآن:

1- إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس، وستكون الغلبة فيها والإنتصار للروم بعد أن انكسروا في الحرب السابقة، و ذلك في قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم: 1-2)

يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الأية: أن حربا وقعت بين دولة الروم وهي "مسيحية"، ودولة الفرس وهي "وثنية"، فانتصر الفرس على الروم، ففرح المشركون وشمتوا، وقالوا للمسلمين، تزعمون أنكم أهل كتاب، وأن النصارى أهل كتاب، وها قد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن نحن عليكم، فاغتمّ المسلمون، وحزنوا لإنهزام الروم، وهم دولة متدينة أمام دولة الفرس وهم وثنيون، فنزلت الآية الكريمة تبشّر المسلمين بانتصار الروم على الفرس في مدة وجيزة، تتراوح بين الثلاث والتسع من السنين (في بضع سنين)، ولم يكن مظنونا وقت تلك البشارة أن الروم تنتصر على الفرس؛ لأن الحروب الطاحنة أنهكتها حتى غزيت في عقر دارها، ولأن دولة الفرس كانت قوية منيعة، وزادها الظفر الأخير قوة ومنعة، فلما نزلت الآية الكريمة راهن

1- رمضان البوطي، **من روائع القرآن**، مرجع سابق، ص 148.

2- محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، مرجع سابق ص119.

أبو بكر بعض المشركين وهو أبي بن خلف على مائة ناقة إلى تسع سنين، ولم تمض المدة حتى وقعت الحرب بين الروم والفرس، فانتصر فيها الروم وانهزمت الفرس، وتحققت نبوءة القرآن، وذلك في سنة 622 ميلادية، الموافقة للسنة الثانية من الهجرة النبوية، وكسب أبو بكر الرهان، فأمره ﷺ بالتصدق به.

وفي الآية نبوءة أخرى، وهي أن المسلمين سيفرحون بنصر قريب في الوقت الذي ينتصر فيه الروم: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الروم: 4-5)، ولقد صدق الله وعده في هذه كما صدقه في تلك، فكان ظفر المسلمين في بدر واقعا في الظرف الذي انتصر فيه الروم، وهكذا تحققت النبوءتان في وقت واحد بفضل الله.

يقول (الزمخشري): "وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله، لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله[1].

2- التنبؤ بدخول الرسول وأصحابه مكة آمنين مطمئنين، روي أن النبي ﷺ رأى رؤيا في منامه، وذلك قبل خروجه إلى الحديبية، رأى كأنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين، وقد حلقوا وقصروا، فقص الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وحسبوا إنهم داخلوها من عامهم وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق، فلما كان صلح الحديبية خرجوا من المدينة محرمين يسوقون الهديّ إلى مكة لا يقصدون حربا، وإنما يقصدون العمرة والنسك، ولكن قريشا صدّتهم، و كادت تقع الحرب بين المسلمين والمشركين، لولا أن الرسول ﷺ رضي معهم بالصلح إيثارا منه للسلم وحبا للسلام العام. وكان من شروط ذلك الصلح أن يرجع الرسول ومن معه من ذلك العام على أن يدخلوا مكة في العام القابل، واتخذ المنافقون ضعفاء الإيمان من ذلك سبيلا إلى الطعن والدس واللمز، حتى قال رئيس المنافقين (عبدالله بن أبي): "والله ما حلقنا، ولا قصّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام"، ولكن نزلت الآية الكريمة تحمل تلك الوعود الثلاثة المؤكدة وهي: دخول مكة، وأداء النسك، والأمن من قريش، على رغم ما هو معروف من غدر قريش ونكثهم العهود، وتقطيعهم الأرحام، وقد أنجز الله وعده فتم الأمر، ودخل المؤمنون مكة آمنين مطمئنين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: 27).

ومعلوم أن هذه الآية نزلت في حالة لم يكن المسلمون يتوقعون أن يدخلوا فيها مكة لطواف أو غيره، فقد رأوا من المشركين صدا وعسفا وإيذاء، ولكن العام الذي تلا تلك الحالة جاء فصدق هذه الآية ولاحت للناس الحكمة من الصد والصلح،وتبين أن كل ذلك جاء مقدمة دقيقة

1- الزمخشري،**الكشاف**، مرجع سابق، ج4، ص345.

وعجيبة بين يدي فتح مكة سلما كما شاءه الله عز وجل، وهو ما أخبرالله عنه في آخر هذه الآية بقوله: ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾**(الفتح: 27)**.

ولو وضعنا الأمر في ميزان التقديرات الفكرية والمنطقية، عندما أنجز صلح الحديبية، لما رأينا أي دليل يمكن الاعتماد عليه،على أن ثمرة هذه الصلح سيكون فتح مكة عما قريب، وأي فتح؟ فتح سلمي لا تناوش فيه السيوف، ولا يقع فيه قتال يذكر[1].

3- **التنبؤ بإظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ **(الصف: 9)**

وكذلك التنبوء بالمستقبل الباسم الذي سيكون للمؤمنين[2]، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ **(النور: 55)**.

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي، فأظهر الله الإسلام على جميع الأديان، ومكن للمسلمين في الأرض في حياة النبي ﷺ حتى استولوا على جميع البلاد العربية، ولم يبق جزء منها إلا دان للمسلمين بالطاعة، ومن لم يدخل في الإسلام دخل في ذمة المسلمين، وخضع لسلطانهم، ودفع الجزية لهم، ثم سار أصحابه من بعده إلى أرض كسرى، وأرض هرقل، فأزالوا دولة الفرس، ودولة الرومان، ولم يمض قرن من الزمان، حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فصارت تمتد من بحر الظلمات في المغرب إلى تخوم الصين في المشرق، فتحقق بذلك الوعد الكريم، و كان وعد الله مفعولا .

ثانيا: الإعجاز التشريعي

إن القرآن الكريم جاء بتشريع معجز يدل على أنه تنزيل من الله ووحي منه تبارك وتعالى وذلك من أوجه:

- **أن الشريعة الاسلامية جاءت على لسان رجل أمي، في أمة أمية تعيش الحياة القبلية، لا يخطر على بال أحد منهم انتظام أول التزام بقانون عام أو نظام خاص.**

1- رمضان البوطي، مرجع سابق، ص149.

2- ازمخشري، **الكشاف**، مرج سابق 252/3.

❖ إنه تشريع شامل وكافل لإحقاق الحق، وصيانة مصالح الناس في جميع شؤونهم المالية والاجتماعية والأسرية والدولية.

❖ أنه فاق كل قانون بشري حتى أقرت المجامع الدولية الفقه الاسلامي مصدرا أساسيا تقتبس منه القوانين [1].

من المعلوم فيما أجمع عليه علماء القانون والاجتماع أن أخر ما يتوج به تقدم أيّ جماعة أو أمة في نهضتها المدنية والحضارية، هو تكامل البنية القانونية والتشريعية في حياتها، أي إن ظهور صياغة قانونية متكاملة في الأمة يعد الثمرة العليا لتقدمها الحضاري.

ولا يمكن أن تنعكس هذه الظاهرة بحال من الأحوال، أي فلم تصادف أن تجد جماعة من الناس بدأت سيرها في طريق الرقي والحضارة بإرساء بناء قانوني متكامل لحياتها، بحيث جعلت منه منطلقها إلى الثقافة والرقي الاجتماعي والاقتصادي والعلمي، ذلك لأن الأمة التي لم تتقدم حضاريا بعد، والتي لا تزال تعيش في عهد البداوة وفي ظل الأعراف القبلية، ليس في حياتها الاجتماعية من التعقيد ما يشعرها بالحاجة إلى سن قانون ووضع تشريع. غير أنها تزداد شعور بذلك، تدريجا كلما تقدمت حضاريا وازداد تركيبها تعقيدا.

غير أن الذي ظهر في الجزيرة العربية، قبل أربعة عشر قرنا، عكس هذا الذي أجمع عليه علماء القانون والاجتماع وعرفه الناس من تجارب الأمم ووقائع التاريخ.. فلقد ظهر فجأة بين تلك الجماعات الأميّة من أهل الجزيرة العربية، قانون متكامل يتناول الحقوق المدنية، والأحوال الشخصية ويرسم العلاقات الدولية ويضع نظام السلم والحرب ويضبط آثارهما.. كل ذلك، ولما تتعلم تلك الجماعات بعد شيئا عن معنى المجتمع الذي يحتاج إلى قانون، ولما تأخذ بتنصيب من العلم أو الحضارة والثقافة مما يعدّ خطوات أساسية لا بدّ من اجتيازها في طريق الوصول إلى المستوى الذي يوجد الشعور بالحاجة إلى وضع تشريع وقانون.

ففكّر ما طاب لك التفكير، هل تجد من حلّ لهذا اللغز العجيب، إلا في اليقين بأن الكتاب الذي حوى هذا التشريع، إنما أنزل وحيا من عند الله ولم يؤلّف من قبل أيّ بشر على وجه الأرض،،

وإلا فأين المفر من أعجوبة لا يقبلها عقل أي مفكر: أن تؤلف قبائل تظلها حياة البداوة البدائية البسيطة قانون توثيق العقود، ونظام توزيع الشركات والمواريث، وضوابط السلم والحرب ثم تمر الأجيال وتتطور الظروف والأحوال دون أن يشعر أي باحث متصف بأي موجب حقيقي لتغيير شيء من هذه النظم والأحكام، بل تعقد لدراسته المؤتمرات العالمية بعد مرور أربعة عشر قرنا من وجوده، وتطبيق المسلمين له، ويجمع أساطين الفقه والقانون على أعقاب هذه المؤتمرات . على اختلاف مللهم ومذاهبهم على الأهمية البالغة لهذا التشريع وعلى ضرورة دراسته والإفادة منه في

1- محمد أبو زهرة، **المعجزة الكبرى**، دار الفكر العربي، (دن)، ص95.

الدراسات المختلفة .. أفيكون هذا التشريع الذي اتّسم بهذا الخلود من وضع جماعات من العرب والأعراب الأميين الذين يحكمهم نظام البادية وأعراف القبيلة؟... أي مجنون هذا الذي يصدّق مثل هذا الخلط والهراء؟...

من أجل هذا اللغز الذي لا يحل إلا باليقين بأن هذا القرآن كلام الله إنه لا يمكن إلا أن يكون شرعا منزلا من السماء أي من لدن ربّ العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المبلغين له بلسان عربي مبين[1].

إن التشريع الإلهي يمتاز بالكمال والسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر، في القديم والحديث، فالقرآن هو الذي وضع أصول العقائد، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع الإقتصادي، والسياسي، والمدني، والإجتماعي، وهو الذي نظم حياة الأسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادىء الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في كل مكان وزمان، وهي: المساواة، الحرية، العدالة.. إلى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتشريع، التي تسعى إليها المدنية الحديثة.

ففي العقائد دعا القرآن إلى عقيدة طاهرة سامية، واضحة جلية، عمادها الإيمان بالله وحده والملائكة وجميع الرسل والكتب واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ **(البقرة: 285)**

وفي العبادات جاء القرآن بأسس العبادات ودعائمها فشرع الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وسائر أعمال البر، والعبادة في الاسلام تشمل كل عمل خيرإذا كان لوجه الله وبالطريقة المشروعة.

وفي أمر المعاملات حرم القرآن أكل أموال الناس بالباطل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ **(النساء: 29)**

ودعا إلى الإشهاد عند إبرام البيع وبكتابة الدين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ...﴾ **(البقرة: 282)**

1- رمضان البوطي، مرجع سابق، ص153- 154، بتصرف.

و في الامور الجنائية شرع القرآن الحدود، وأوجب تنفيذها، حماية للمجتمع من الفوضى والاضطراب وتأمين الأمة على حياتها ومستقبلها، وأموالها وأعراضها لتعيش الحياة الكريمة السعيدة التي لن تكون إلا عن طريق الأمن والاستقرار.

وقد نص القرآن الكريم على أمهات الجرائم، وأعظمها خطرا على مستقبل الفرد والجماعة، ووضع لكل واحدة منها عقوبات مقدرة، لا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها، أو التساهل فيها، وترك ما سوى ذلك من الجرائم الخفيفة للحاكم المسلم، ينفذ فيها ما يراه من العقوبة، على ضوء السنة النبوية المطهرة، وبالشكل الذي يحقق مقاصد الشريعة. وتتمثل هذه الجرائم الكبرى في: القتل، الزنى، السرقة، قطع الطريق، القذف.

وقد ترك التشريع الإلهي القرآني أثرا عظيما في نفوس العرب، حيث قضى على كل فساد، واستأصل كل جريمة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

- أمثلة من واقع الحياة:

ومن الأمثلة على تفوق التشريع القرآني الحكيم على بقية القوانين الوضعية البشرية ما نلمسه في واقع الحياة،ويمكن أن نشير إشارة خاطفة إلى سمو الشريعة الاسلامية على بقية النظم فيما يلي:

❖ منذ زمن قريب حرمت(أمريكا) الخمر، ولكنها فشلت ولم تنجح لأنها لم توفق إلى الكريقة الحكيمة التي اتبعها الاسلام في تحريم الخمر، فعادت إلى إباحته مع اعتقادها بضرره الفادح.

❖ أباحت بعض الدول الغربية الطلاق بعد أن كان ممنوعا لديها بسبب تعاليم الكنيسة، ولكنها أسرفت فيه إلى درجة ضارة.

❖ مصلحو أوربا يرفعون أصواتهم بضرورة السماح بتعدد الزوجات، حتى بعض نسائهم طالبن بذلك لكثرة العوانس من النساء، لتفاقم المشكلة وآثارها الخطيرة على المجتمعات الغربية.

❖ انتشار الخيانات الزوجية في المجتمعات الغربية بشكل فظيع، وأصبحت الأسر مهددة بالتفكك، وكثر فيها اللقطاء، وذلك بسبب السفور والاختلاط الفاحش بين الجنسين.

❖ بعض الدول الغربية أصدرت قوانين تمنع البغاء الرسمي، والإجهاض.

❖ زعيم فرنسا نادى غداة هزيمتها أمام الألمان في الحرب العالمية الثانية بقوله: " إن سبب انهيار دولة فرنسا وسبب هزيمتها، وانكسارها هو انغماسهم في الشهوات الجنسية، وإسرافهم في المفاتن والمفاسد.

❖ ازياد الجرائم في المجتمعات الغربية رغم العقوبات الصريحة إلى درجة الاعدام، وواسع انتشار العصابات الخطيرة التي تهدد أمن البلاد وسلامة العباد، وذلك من أعظم البراهين على فشل النظم الوضعية، والتشريعات البشرية. أما التشريع الاسلامي فقد حقق الأمن والسلام، وقضى على الجريمة في مهدها، مما أنتج مجتمعات آمنة، وحضارة راقية رائدة [1].

1- محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص ص117- 118، بتصرف.

خاتمة

إن دراسة وتدريس علوم القرآن الكريم لشرف عظيم للملقي والمتلقي على حد سواء.

وإن هذه المحاضرات جهد المقل، ويمكن أن نستخلص منها بعض النتائج الهامة، منها:

1- منزلة القرآن الكريم العظيمة، وقدسيته، وفضله على البشرية.

2- اهتمام المسلمين العظيم للقرآن الكريم منذ نزوله إلى اليوم بشتى صور الاهتمام.

3- التنوع المفيد للدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

4- دراسة القرآن العظيم من كل الزّوايا معين لا ينضب.

5- وجوب إيلاء مزيد من الاهتمام والعناية بالقرآن الكريم من كل الجوانب .

ندعو الله عز وجل لكل قارئ لهذه المحاضرات القبول، والفضل الواسع، والرعاية الإلهية، إنه مجيب الدعوات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القرآن الكريم
قائمة المصادر والمراجع

(أ)

1- ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج6، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1999.

2- ابن قيم الجوزية، **كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، تح: محمد بدر الدين النعاسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1908.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 2003.

4- ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، ج5، دار صادر، بيروت، 2010.

5- أمير عبد العزيز ، **إعجاز القرآن**، ط1، جامعة النجاح، فلسطين، 2007.

6- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج1، ط1، دار طيبة، ، القاهرة، 2006.

7 - إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968..

8- الامام أحمد، مسند، الامام أحمد، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2009.

9- أحمد بن فارس، أفراد كلمات القرآن العزيز، تح: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2002.

10- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط).

11- ابن الجني، الخصائص، عالم الكتب، بيروت، ط3، ج1، 1982.

12- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى، 2009.

13- ابن تيمية، مجموع الفتاوى الكبرى، ج 13، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1995.

14- أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة للقراءات، دار المنارة جدة، 1997.

15- ابن جني، المحتسب، مطابع الأهرام، القاهرة، ط1، 1994.

16- أبو داود، صحيح سنن أبي داود، تح: الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1998.

17- أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001.

18- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، دار المعرفة ،بيروت، 2004.

19- أحمد محسن خلف، التفسير اللغوي، عند ابن جني، الجامعة المستنصرية، العراق، 2014.

20- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، ،1984 .

21- ابراهيم لقان، محاضرات في علوم القرآن، المركز الجامعي، ميلة، 2009.

22- ابن الاثير، المثل السائر، ج1، الحلبي، مصر، 1939.

23- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، المطبعة السلفية، القاهرة، 2015.

24- الأزهري، تهذيب اللغة، ط1، ج9، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001.

(ب)

25 - بن عبد الله واسيني، محاضرات في مادة علوم القرآن، جامعة المسيلة، 2013.

26- البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2002.

27- بن عبد الله واسيني، محاضرات في مادة علوم القرآن، جامعة المسيلة، 2013/2012.

(ج)

28- الجرجاني، التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة،2010.

29- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (دن).

30- جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ط الحلبي، مصر،1957.

(و)

31- وزارة التربية والتعليم، علوم القرآن ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008.

(ز)

32- الزمخشري، الكشاف، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

33- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995.

34- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ .

35- الزرقاني ،مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ 1، دار السلام، القاهرة، 2015.

36- الزبيدي، تاج العروس، ج7، طبعة الكويت، 2008.

37 - الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993.

38- الحسين زروق، جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2013.

(ط)

39- طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان، تح أبو غدة، مطبعة المنار ، مصر، ط1، 1331هـ.

(ك)

40- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، تح: عبد الحليم النجار، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1977.

(ل)

41 - لويس معلوم، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط19، 1988.

(م)

42- مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، 2002.

43- محمد علي رضا الاصفهاني، مناهج التفسير واتجاهاته، دراسة مقارنة، مركز الحضارة، بيروت، ط8، 2011.

44- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، (دت).

45- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، (دن).

46- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرأن، ط3، مكتبة رحاب، الجزائر، 1986.

47- محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2003. .

48- موريتز، مجموعته المصورة (الباليو جرافية العربية)، لوحه 17.

49- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة، 1995.

50 - محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، مكتبة رحاب، الجزائر، 1986.

51- مساعد بن سليمان الطيار، أنواع التصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ط3، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1434هـ.

52- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، دار البعث، قسنطينة، 1986.

53- : محمود عبد الوهاب فايد، التربية في كتاب الله، دار الاعتصام، القاهرة، 1978.

54- محمد شعبان صلاح، مواقف النحاة من القراءات القرآنية، دار غريب القاهرة، ط1، 2005.

55- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008.

56- الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ، دارالقلم دمشق ط1، 1412هـ.

(س)

57- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

58- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2004.

59- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 2010.

60- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ط1، ج2، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2010.

(ع)

61- عبد الفتاح القاضي، من علوم القرآن الكريم، ط1، المكتبة الأزهرية ، القاهرة، 2000.

62- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، العقيدة الاسلامية وأسسها، ط15، دار القلم، دمشق، 2010.

63- عبد العزيز ثابت، مذكرة في علوم القرآن لطلبة السنة الأولى، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2016/2017 .

64- عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2002.

65- عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، دار الغرب الاسلامي، 1999.

66- عبد الحي الفرماوي، مقدمة تفسير الجلالين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة.

67- عبد القادر الجرجاني، دلائل الاعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت).

68- عائشة عبد الرحمان، الاعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، 2004.

69- عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، دت، ط7.

70- وزارة التربية والتعليم ، علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008.

(ف)

71- فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، ط1، دار النفائس، بيروت، 2007.

72- فاضل السامرائي. التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006..

73- فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، الشارقة، 2002.

74- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك، القاهرة، 2006.

(ص)

75- صلاح الدين، المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، دار الكتاب الجديد، لبنان، 1979.

(ق)

76- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006.

77- القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، وزارة الأوقاف السعودية، 1434هـ.

(ر)

78- الرازي، التفسير الكبير، ج3، دار الفكر دمشق:1981.

79- الرازي، مختار الصحاح، تح، محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1995.

80- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006.

81- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دارالقلم، دمشق، ط1، 1412هـ .

82- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1976.

(ش)

83- شكري عباد، الرؤيا المقيدة، ط1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

84- شهاب الدين الخيري، التبيان في تفسير غريب القرآن، دار الغرب الاسلامي،بيروت، 1423هـ .

85- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج2، ط24، دار المعارف، القاهرة، 2014.

86- الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج5، ص496.

(ت)

87 – توفيق أوسهلة، طرق التفسير في المعجم الوسيط، مذكرة ماستر، جامعة تلمسان، 2014.

88- الترمذي، سنن الترمذي، ج 10، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

(ن)

89- نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، 1993.

(غ)

90- غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن، ج1، دار الشهاب، باتنة، الجزائر،1988.

(ي)

91- يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2000.

الرسائل الجامعية

92- جملات عيد محمدو أبو ناصر، لفظة القرآن في القرآن الكريم، دراسة موضوعية،رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، 2011.

مجلات

93-يوسف ولد النبية، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، تفسير فاضل صالح السامرائي نموذجا، مجلة الممارسات اللغوية، مج11،ع03، جامعة تيزي وزو ، 2020.

مواقع الأنترنت

94- موقع Al-qaradawi.net، تاريخ النشر: 2019/06/2.